إصطناع المحدثين في العصر العباسي

م.د. رشا عبد الكريم فالح النور – مركز دراسات البصرة والخليج العربي/ جامعة البصرة

الملخص

تعرض التراث الاسلامي للعديد من محاولات للسيطرة على رواية الحديث، بسبب الطابع الديني للدولة ، فقد كان الحديث النبوي يعد مكون اساسي في شرعية الدولة ،فلم يكن الهدف من السيطرة على رواية الحديث النبوي مجرد الحفاظ عليه من محاولات الزيف بقدر ما هدفت من عدم اصطدام المرويات بمصالح السلطة الحاكمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

هذا الاضطراب في التعامل مع المرويات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واضطرارهم لتطبيق قواعد علم الجرح والتعديل بناء على المواقف السياسية المتغيرة للسلطة قد دفعهم للقول بإمكانية نسخ السنة المنسوبة للنبي صلى الله عليه واله وسلم للآيات القرآنية في محاولة للتوفيق بين الأحاديث الصحيحة والنصوص القرآنية التي تصطدم بها.

المفاتيح : الحديث ، التراث ، اصطناع ، حديث ، محدث ، الدولة الاسلامية ، الدولة الاموية ، الدولة العباسية .

The fabrication of Hadith narrators in the Abbasid era

Dr.Rasha Ab. Al Noor - Center of Basra and Arabian Gulf Studies

Abstract

The Islamic heritage has been subjected to many attempts to control the hadith narration، due to the religious nature of the state، as the hadith of the Prophet was considered an essential component in the legitimacy of the state. The ruling economic، social and political authority.

This confusion in dealing with the narrations from the Prophet، may God's prayers and peace be upon him and his family, and their compelling them to apply the rules of the science of wound and modification based on the changing political positions of the authority, led them to say that the Sunnah attributed to the Prophet, may God's prayers and peace be upon him and his family، can be copied to the Qur'an verses in an attempt to reconcile the authentic hadiths with the Qur'an texts that clash out..

Keys: Hadith, heritage, synthesis, hadith, updated, Islamic state, Umayyad state, Abbasid state.

المقدمة

بالرغم من المكانة الكبرى التي أحرزها علم الحديث في التراث الإسلامي بشكل عام ، نظراً لكونه المصدر الثاني للتشريع بعد النص القرآني ، فمن الواضح أن السلطات الحاكمة في الدولة الإسلامية لم تنظر إليه بنفس هذا القدر من القدسية التي حظي بها لدى الجماهير المسلمة وحتى هذه اللحظة ، وإنما تعاملت معه بقدر كبير من الانتهازية السياسية .

لقد شهد التراث الإسلامي محاولات متعددة للسيطرة على رواية الحديث ، نظراً للطابع الديني للدولة والذي يعد الحديث النبوي مكون أساسي في شرعيتها ؛ وكانت بدايتها بعد وفاة النبي (ص واله) بالترافق مع بداية الصراعات بين المشروعات الاجتماعية التي كونت رؤيتها في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسعت لانتهاز الفرصة لمنحها السيادة على الواقع الإسلامي ، وبالتالي فلم يكن الهدف من السيطرة على رواية الحديث النبوي مجرد الحفاظ عليه من محاولات التزييف بقدر ما هدفت إلى التيقن من عدم اصطدام المرويات بمصالح السلطة الحاكمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وقد اتخذت هذه المحاولات أشكالاً متنوعة ما بين منع الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنع تدوينها، أو حصر الرواية على أشخاص معينين ، لتتطور لاحقاً إلى محاولات تحريف الرواية ، ثم محاولات تلفيق المرويات واختلاقها مترافقة مع تطور المتناقضات في المجتمع الإسلامي ذاته .

والواقع أن التنوع في أساليب السيطرة على المرويات ارتبطت بحالة التطور الاقتصادي والاجتماعي للدولة الإسلامية والتي تأثرت في بدايتها بالحالة القبلية والعشائرية السابقة على الدعوة ، قبل أن تتحول للإقطاع المركزي في العهد الأموي ثم الإقطاع القومي في العهد العباسي ، وخلال هذه التطورات كانت الحاجة للتعامل مع الحديث النبوي تختلف عن سابقتها سواء في السعي لتثبيت شرعية المشروع الاقتصادي والاجتماعي لكل سلطة ، أو في مواجهة المعارضين السياسيين والاجتماعيين لهذا المشروع والذين اتخذوا في كل أحوالهم شكلاً دينياً وسعوا كذلك لتكوين مشروعيتهم الدينية مستخدمين سلاح الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صياغة أيدولوجيتهم البديلة .

وتبدو أهمية هذا البحث " **إصطناع المحدثين في العصر العباسي** " في كونه يسلط الضوء على أهم أساليب السيطرة على المرويات التي استخدمت في العصر العباسي من أجل ترسيخ مشروع الدولة العباسي ونفي الشرعية الدينية عن الاتجاهات السياسية والاجتماعية المعارضة والمتناقضة [١] مع هذا المشروع .

وسوف يضم البحث سبعة فصول ، يناقش عبرها طبيعة الدولة الإسلامية منذ صياغتها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويستعرض تعريف الحديث والمحدثين في اللغة والاصطلاح ، وتعريف مصطلح " **إصطناع** " المعنون به البحث . كما يناقش وضع الحديث والمحدثين فيما قبل الدولة العباسية ، وكيفية تعامل السلطة سواء في العهد الراشدي أو العهد الأموي معهما .

كما يناقش البحث الدولة العباسية ومشروعها ومنهجيتها في السيطرة على المحدثين واصطناعهم ، ثم تطور أسلوبها في تحقيق هذه الغاية ونتائجها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

إن الغاية من محاولات استخدام المناهج البحثية في إعادة قراءة التاريخ والتراث الإسلامي تتثمل في القدرة على التخلص من مؤثرات هذا العصر السابق ومحاولات ابنائه المتعسفة لتذكية نتاجهم الفكري والديني ، وبالتالي القدرة على استكشاف الحقيقي ، المشوه والمختلق من هذا التراث .

وتبرز قيمة هذه المحاولات في الفترة الحالية بعد أن سعت بعض المجموعات الدينية الرجعية لانتاج مجموعة أفكار مستقاة من التراث الإسلامي السابق ، بالرغم من كونها تتعارض بشكل ملحوظ مع المنجز الحضاري الضخم لهذا التراث في مرحلة توهجه وصعوده ، بما يفرض على الباحثين المهتمين ضرورة إعادة قراءة التراث لمعرفة ما يرتبط منه بالدين ونصوصه ، وما يرتبط منها بمحاولات السلطة صياغة مفهوم يناسبها من الدين .

١ – تعريف المحدثين في اللغة والاصطلاح

تعد عملية ضبط معاني المفردات والمصطلحات المستخدمة في الأبحاث التاريخية المتماسة مع الدين مهمة للغاية ، خاصة أن الألفاظ المستخدمة في اللغة دائماً ما تكون أكثر اتساعاً في معانيها من الألفاظ المستخدمة لمصطلحات دينية وتسعى في الأساس إلى تحديد دلالتها ،

فالمصطلح إذن كما يرد في معجم المصطلحات الفقهية هو : **ما اتفق عليه المحدثون من قواعد وأصول** . وفي معجم اللغة العربية المعاصر ، هو : **لفظ أو شيء إتفقت طائفة مخصوصة على وضعه في علم معين ، ولكل علم أو ميدان إصطلاحاته** . والمصطلح في العلوم هو : **كل كلمة لها دلالة معينة ، متفق عليها بين العلماء في علم ما** [٢] .

ومن الواضح أن هناك اتفاق بين المعاجم في تعريفاتها للفارق بين دلالة الكلمة المستخدمة في اللغة وبين دلالة المصطلح ، وهو ما يفرض على الباحث توضيح المراد من المصطلحات المستخدمة سواء التاريخية أو الدينية .

وفي هذا البحث هناك مفردات لها معان مختلفة في اللغة والاصطلاح من الضروري توضيحها ، وهي مفردات **حديث** ، **محدث واصطناع** ، والتي تمثل الموضوع الأساسي الذي يسعى البحث لتوضيحه .

ترد مرادفة الـ**(حديث)** في اللغة العربية بمعنى كل ما يتحدث به من كلام وخبر ، كما يعني الصوت المسموع للقوم . وفي القرآن الكريم وردت هذه المفردة بمعنى الحلم في الآية : " **ويعلمك من تأويل الأحاديث** " ، وفي آية أخرى بمعنى العبرة والعظة " **فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق** " [٣] .

وثمة معان أخرى لهذه المفردة حيث ترد بمعنى جديد أو قريب العهد كما يقال : حديث البناء أو حديث العهد بالشيء [٤] .

وفي معجم المصطلحات الفقهية يعرف الحديث بأنه : " **ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي حقيقة أو حكماً حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام** " [٥] .

ويتفرع عن هذا التعريف لمصطلح الحديث عدة مصطلحات مرتبطة بها يذكرها المعجم ، فهناك علم الحديث رواية وهو : **العلم الذي يختص بنقل أقوال النبي وافعاله وروايتهما وضبطهما وتحريرهما** . وهناك علم مصطلح الحديث وهو : **العلم بأصول وقواعد يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد** [٦] .

وأيضاً مصطلح درجات الحديث ويعني : **عملية تقسيم الحديث إلى عدة أنواع من حيث الصحة والحسن والضعف** . وعزو الحديث بمعنى : **ذكر من خرج الحديث من أصحاب**

المصنفات في الحديث . وغريب الحديث وهو : **ما وقع في متن الحديث من ألفاظ غامضة بعيدة عن الفهم لقلة استعمالها** . أما علماء الحديث فهم : **المهتمون بمعرفة أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد** [٧] .

أما مفردة المحدثون ، فهي الجمع من **محدث** وهو الفاعل من حَدَّث ، وفي الإصطلاح **المحدث** هو : **راوي أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم** . و**المُحْدَث** هو ما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنة ولا إجماع [٨] .

أما مفردة **إصطنع** فهي فعل خماسي لازم متعد بحرف ، ولها استخدمات مختلفة ، يقال **إصطنع المحسن** : أعد طعاماً في سبيل الله . و**إصطنع الرزق** : قدمه . و**إصطنع آلة** : أمر أن تصنع له . **إصطنع عنده صنيعة** : أحسن إليه . و**اصطنعه لنفسه** : اختاره واصطفاه كما يرد في الآية ٤١ من سورة طه : " **ثم جئت على قدر يا موسى . واصطنعتك لنفسي** " [٩].

والنتيجة فإن المقصود من تعبير " **إصطناع المحدثين** " المستخدم في موضوع هذا البحث هو: إختيار السلطة السياسية في التاريخ الإسلامي لمجموعة محددة من رواة الحديث النبوي الموالين لها بهدف تدوين مرويات تخدم المشروع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لهذه السلطة من جهة وتجاهل أو التشكيك في المرويات والرواة الذين لا يخدمون هذا المشروع أو يعارضونه، مقابل مكافآت مالية أو نفوذ ديني ومناصب كبرى بإدارة الدولة .

٢- تطور الدولة الإسلامية وعلاقتها بالمذاهب الدينية

شهدت الدولة الإسلامية التي نشأت عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدة تغيرات في صورتها السياسية نتيجة تغير أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ، فقد عبرت المرحلة الأولى من الدولة الإسلامية ، والتي شملت فترة حكم الخليفتين الأول والثاني ، عن طموحات الطبقة التجارية الإسلامية والتي تكونت من أبناء المسلمين المنتمين لعشائر قرشية متوسطة وضعيفة بين القرشيين ، وخلال هذه الفترة كان هناك تحالف مع الأرستقراطية القرشية القديمة ، وخاصة في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب [١٠] ، ومن الممكن اعتبار أن تولي عثمان بن عفان المنتمي لعشيرة بني أمية الأرستقراطية للخلافة عقب اغتيال الخليفة الثاني انقلاب على هذه التجربة ونجاح لهذه الارستقراطية في الاستيلاء على الحكم وإزاحة الطبقة التجارية لتبدأ بعدها في تطوير أوضاعها ناحية الإقطاع [١١] ، وهو نتج عنه ردود أفعال من أنصار الطبقة التجارية ،

ومن زعامات القبائل العربية التي أدركت أن هذا التطور قد يقود وضعها القبلي ويمنح القرشيين السيطرة بشكل كامل على الحكم ، كما كانت مرفوضة من المستضعفين الذين خضعوا لزعامة الإمام علي عليه السلام [١٢] .

كان انتصار الثورة على عثمان بداية بروز الخلاف والانقسام بين الاتجاهات السابقة التي رفضت القبول بالتطور الإقطاعي ، مقابل تراص الأرستقراطية القديمة خلف معاوية بن أبي سفيان في الشام ، ما أنذر بصراعات داخلية بين هذه الاتجاهات كانت من عوامل تقوية موقف الأمويين [١٣] ، وهو ما أدركه الإمام علي عليه السلام في حينه ، إلا أنه سعى خلال فترة حكمة ، التي تعد اعتراضية جداً في مسار التاريخ الإسلامي ، لزرع بذور الثورة على الواقع القادم عبر توعية الجماهير والكادحين في عهده بحقوقهم ، وهو ما عبر عنه معاوية بن أبي سفيان بمنتهى الاستياء لاحقاً في حواره مع سودة بنت عماره الهمدانية: " **لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان فبطيئاً ما تفطمون** " ، كما قاله لعكرشة بنت الأطرش : " **هيهات هيهات يا أهل العراق ، فقهكم ابن أبي طالب ، فلن تطاقوا** " [١٤] .

لقد شهدت المرحلة الأموية محاولات الأسرة الحاكمة تطبيق ما يمكن تسميته " **الإقطاع المركزي** " [١٥] ، حيث سعت لسيطرة دولتها بقيادة الخليفة على كافة الأراضي الزراعية ، مع السماح للموالين لها من زعامات القبائل العربية أو الأرستقراطيات القديمة في البلدان المفتوحة بالسيطرة على إقطاعيات بحسب درجة اطمئنانها لولائهم ، وبديهي أن مثل هذا المشروع كان يعني تركز الثروة بشكل كبير في دمشق [١٦] وهو ما فجر العديد من الانتفاضات والثورات في المناطق الشرقية وخاصة بالعراق وإيران دعمها الإقطاع المحلي في هذه المناطق والطبقة التجارية ، التي دعمت الأمويين في البداية ، لكنها بدأت في اتخاذ مواقف سياسية معارضة بعد اتساعها وانضمام الكثير من ذوي الأصول غير العربية إليها عبر الرقاب المحررة أو اعتناق الإسلام [١٧] .

إن هذا الخطأ الذي ارتكبه الأمويين أدى لانضمام العديد من الاقطاعيين المحليين وكبار التجار في أقاليم الدولة الإسلامية إلى صفوف المعارضة الشيعية والخارجية ، كما نجحت الدعوة العباسية في اجتذاب الكثيرين منهم بعد أن أعلنت عن تبنيها لمشروعات تساوي بين كل المسلمين في الحقوق والواجبات ، وقدمت الوعود للاقطاعيين المحليين وكبار التجار بالسماح

لهم بقدر من الاستقلالية في إدارة ولاياتهم ، وقد التزمت الدولة العباسية في بداية نشأتها بهذه الوعود حتى عهد المتوكل على الأقل ، وهي الفترة التي شهدت التطور الكبير للطبقة التجارية وصعود الرؤى الفكرية المتنوعة [١٨] .

لقد ألقت التطورات الاقتصادية والاجتماعية سالفة الذكر بظلالها على المذاهب الناشئة ، والتي اعتبرت إنعكاساً ثقافياً لهذه الطبقات الاجتماعية حيث احتاج كل مذهب للنصوص الدينية كي يمنح رؤيته السياسية الشرعية اللازمة ، وبالتالي صاغت هذه المذاهب تفسيرها للنصوص القرآنية والمرويات التي تراها صحيحة ومعبرة بالفعل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بناء على احتياجاتها خلال هذا الصراع الاقتصادي والاجتماعي .

وقد اختلفت صورة الدولة الإسلامية لدى المذاهب التي نشأت عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كصورة دينية لهذه المشروعات الاقتصادية والاجتماعية المتناقضة والمتصارعة .

كان المشروع الشيعي يمثل طموحات الطبقات المستضعفة والكادحة بصورة أساسية ، بالإضافة لبعض أسر الأرستقراطية العربية المؤمنة بعدالة هذا المشروع والرافضة لسيطرة الأمويين على السلطة واحتكارهم وتابعيهم للثروة [١٩].

وبالرغم من أن هذا المشروع يتهم من قبل بعض الباحثين بكونه معبر عن الأرستقراطيات القديمة عبر منحه الشرعية للأسرة العلوية حصراً سواء في مسائل السياسة أو الدين [٢٠] ، فالواقع أن المشروع الشيعي بمذاهبه واتجاهاته المختلفة ربط بين العدل ، بصوره المختلفة ومن بينها العدل الاجتماعي ، والإمامة بحيث لا يمكن الفصل بينهما ، كما أنه ، أي التشيع ، حتى في أكثر صورة يمينية والمتمثلة في المذهب الزيدي لم يمنح الشرعية لكل منتم للأسرة العلوية وإنما وضعت عدة شروط بلغت أربعة عشر شرطاً لمستحق الإمامة ، من أهمها الورع والعدل والخروج على الظالمين بالسيف [٢١] .

أما المذهبين الآخرين ، وهما الإثناعشرية والإسماعيلية فإن النص الإلهي هو القاعدة الأساسية للإمامة ، وبالتالي فإن التيارات الشيعية الثلاث اصطدمت ببعض التقاليد الإقطاعية والتي تقوم على حق البكورية الشهير (وراثة الابن الذكر البكر) ، وولاية العهد ، بحيث لا يمكن وصفهما باتباع التقاليد الأرستقراطية [٢٢] .

في المقابل عبر الخوارج عن مشروع القبائل النزارية واليمنية الرافضة لسيطرة قريش كقبيلة على المشهدين السياسي والديني ، وقد تطور الرأي السياسي لهذه الجماعات مع احتياجاتها أثناء الصراع مع الأمويين والعباسيين ؛ حيث سعت في البداية لفتح المجال أمام كل القبائل العربية لتولي منصب الإمامة ، ومع تطورات صراعها ضد الأمويين واضطرارها للتواجد في أوساط غير عربية ، فارسية وكردية ، فقد وجدت نفسها مضطرة لفتح المجال أمام المسلمين من غير العرب لتولي الإمامة في محاولة لجذب الأتباع لصفوفها المقاتلة [٢٣].

على أن التطور الإقطاعي لبعض طوائف الخوارج كالصفرية والإباضية في العهد العباسي ، ونجاح الطائفتين في تشكيل دول ذات طبيعة إقطاعية منفتحة (تشبه في مشروعها المشروع العباسي في بداياته) أدى لتغير في مشروعها الخاص بالدولة ، حيث قبلت بولاية العهد وحصر الإمامة في أسرة مالكة كبني رستم الإباضيين أو بني مدرار الصفريين ، وقد استمر هذا التعديل سائداً في الرؤية الواقعية للامامة الإباضية التي سيطرت لاحقاً على عمان [٢٤].

شهد المذهب السني ، العديد من التطورات والاندماجات قبل أن يظهر بصورته الأخيرة في العهد العباسي ، ولكن حتى قبل ظهوره في صورته الأخيرة من الناحية الفقهية والعقائدية ، فقد كان مرتبطاً بالسلطة الإقطاعية ، وهو ما برز بوضوح في رؤيته حول الإمامة ، والتي اشترط خلالها أن يكون الإمام قرشي النسب ، وأجاز من خلالها تولي السلطة عبر عدة وسائل كشورى أهل العقد والحل ، أو ولاية العهد ، بالإضافة إلى قبوله بالغلبة كوسيلة واقعية لتولي السلطة نتيجة الصدامات العسكرية الداخلية في الدولة ، وهو الأسلوب الذي تولى السلطة به عدد من الخلفاء كمعاوية بن أبي سفيان وعبدالله بن الزبير ومروان بن الحكم وأبو العباس السفاح [٢٥] ...الخ

وبالرغم من تكرار استخدام مصطلح أهل الحل و العقد في الكتب التراثية ، فإن أياً منها لم يوضح كيفية اختيارهم أو عددهم ، كما أن التراث الإسلامي لم يشهد أبداً تطبيق مثل هذه التجربة . ومن الواضح أن صياغة مثل هذا الشكل في اختيار الإمام لا يعدو أن يكون رؤية مثالية لبعض مثقفي العصر العباسي لمعالجة السلبيات التي عانت منها السلطة .

وتبقى الوسيلتان اللتين تم استخدامهما بالفعل في أغلب فترات التاريخ الإسلامي ، وهما : ولاية العهد ، والغلبة ، وأمامهما تم التخلي عن كثير من التصورات التي طرحها الماوردي بكتابه

الأحكام السلطانية والتي وضع من خلالها تصوراته المثالية لما يجب أن تكون عليه السلطة . بل أن المنظومة السنية اضطرت للتخلي عن أحد أهم شروط الإمامة وهو قرشية الإمام عندما تغلب الأتراك العثمانيين على المماليك في مصر وحملوا لقب الخلافة ، كما تخلت التيارات السلفية عن هذا الشرط في تأسيسها للدولة السعودية بمراحلها الثلاث .

إن جمع المنظومة السنية ، في صورتها النهائية، بين أساليب متعارضة في اختيار الإمام نتج بالأساس عن خضوعها لمشروع الدولة العباسية والذي نجح في دمج عدد من التيارات المختلفة دينياً واجتماعياً عقب سيطرته على السلطة كأهل الحديث والمرجئة وكلاهما ارتبط بالسلطتين الأموية ثم العباسية وإن كانت المرجئة تعد تياراً إصلاحياً ومنفتحاً داخل الاقطاع وهو ما جعلها أكثر تماهياً [٢٦] مع الفترة العباسية الأولى حتى عهد المأمون ، بينما كان أهل الحديث أكثر التصاقاً بالدولة العباسية في مرحلة الخليفة المتوكل وما بعدها ، وأخيراً الطبقة التجارية الممثلة في تيارات الاعتزال ، وكانت كالمرجئة مرتبطة بالدولة في بداياتها وخاصة في عهد الخلفاء الثلاثة المأمون والمعتصم والواثق [٢٧] .

وبالرغم من أن هذه التيارات عملت تحت سقف الولاء للأسرة العباسية ، فمن الواضح أنها دخلت في منافسة حادة بهدف التقرب من السلطة العباسية والتعبير عن مصالحها ، وتبادلت هذه التيارات الازدهار والتراجع بحسب التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، إلا أنها بشكل عام سعت للتعبير عن مصالح الدولة العباسية مستخدمة الآليات الدينية وخاصة الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتي تعرضت لقدر كبير من التسييس نظراً لعمق الصراع بين الاتجاهات السابقة في الدائرة العباسية ، بالإضافة للصراع بينها وبين المذاهب المعادية للعباسيين من الناحيتين الدينية والاجتماعية .

٢. الحديث والمحدثين قبل الدولة العباسية

لم تكن مشكلة العلاقة بين السلطة والحديث النبوي ورواته نتاجاً خاصاً بالعهد العباسي ، وإنما بدأت هذه المشكلة منذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث انفجر الصراع الاجتماعي بين الطبقة التجارية الإسلامية والتي مثلها نسبة من المهاجرين وأقلية من الأنصار بزعامة أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، في مواجهة كبار الملاك من الأنصار بقيادة سعد

بن عبادة ، وكذلك في مواجهة التيار المناصر للمستضعفين والكادحين بقيادة الإمام علي بن أبي طالب وبعض أقطاب الصحابة كسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري[٢٨].

وبالرغم من انتصار الحزب المهاجري في مواجهة السقيفة مستغلاً عدم تماسك الأنصار وترهل تحالفهم نتيجة الحزازيات القبلية القديمة بين الأوس والخزرج [٢٩] ، فقد برزت سريعاً مشكلة العمل بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومدى علاقتها بالقرآن الكريم ، وبينما تم الاتفاق بين الجميع على مرجعية القرآن الكريم [٣٠] ، فإن وضع السنة النبوية كان غامضاً في عهد الخليفة ابو بكر الذي اعترف بصراحة أنه غير قادر على العمل بها بشكل متكامل : " **لئن أخذتموني بسنة نبيكم ما أطيقها ، إن كان لمعصوماً من الشيطان ، وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء** " [٣١] ، وبالتالي فقد كان الخليفة الأول يسعى للحصول على مساحة أكبر من حرية العمل وعدم التقيد بالسنة النبوية .

على أن مشكلة رواية الحديث برزت بوضوح عندما اكتشف الخليفة أن الاتجاهات الرافضة له سيما المرتبطة بالإمام علي عليه السلام ، والذي اتجه إليه الحزب الأنصاري بعد فشل تنصيب سعد بن عبادة [٣٢] ، تمتلك العديد من النصوص النبوية التي تثبت شرعيتها وأحقيتها بالسلطة ، وهو ما دفعه إلى محاولة إيجاد سياسة محددة للتعامل مع المرويات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن يروونها .

كانت البداية مع قضية نحلة وميراث السيد فاطمة الزهراء عليه السلام ، حيث رفض الخليفة أن يسلم ابنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميراثه مستدلاً بمروية منسوبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: " **لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال** – يعني مال الله – **ليس لهم أن يزيدوا على المأكل** " [٣٣] ، وقد رفضت السيدة فاطمة الزهراء عليه السلام هذا الحديث متهمة أبي بكر باختلاقه ومستدلة بعدد من الآيات القرآنية التي لا يمكن أن يخالفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وانتهى الأمر بمخاصمتها إياه [٣٤] .

على أن الفترة القصيرة التي تواجد بها أبي بكر في موقع الخلافة ، وشهدت عدة أحداث كحروب الردة ، وبداية الفتوحات الإسلامية ، ربما لم تسمح له بإيجاد هذه السياسة المطلوبة ، وقد تكفل خليفته عمر بن الخطاب بصياغتها .

اتخذ الخليفة عمر مجموعة من الاجراءات التي كفلت له التحكم فيما يتداول من المرويات لعل أهمها كان القيام بإحراق ما قام بعض الصحابة بالفعل بتدوينه من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدعوى أن تدوين السنة سيحولها لما يشبه كتاب المشناة [٣٥] لدى اليهود ، فيروي ابن سعد في الطبقات الكبرى : " **أن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها ثم قال مشناة كمشناة أهل الكتاب** " [٣٦].

وقد تمكن الخليفة بهذا التصرف من القضاء على أي مروية قد تعيقه عن مشروعاته ، كما قضى تماماً على أي تدوين يمكن أن يمنح الاتجاهات المعارضة شرعية بناء على قول أو فعل من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك بناء على تبرير غريب للغاية .

كان الإجراء الثاني الذي اتخذه الخليفة هو منع الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ما يستفاد من عدة مرويات لعل أهمها ما نقله ابن كثير في تاريخه على لسان عمر بن الخطاب في قوله للصحابة : " **أقلوا الرواية عن رسول الله إلا في ما يعمل به** " [٣٧] ، وقد تطور هذا الموقف إلى المنع الكامل كما يروى عن قرظة بن كعب الأنصاري الخزرجي ، وهو أحد العشرة الذين وجههم عمر بن الخطاب مع عمار بن ياسر رضي الله عنه حين ولاه الكوفة ، أنه قال : **لما سيرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر إلى صرار ، ثم قال : أتدرون لم شيعتكم ؟ قلنا : أردت أن تشيعنا وتكرمنا ، قال : إن مع ذلك لحاجة ، إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم ، قال قرظة : فما حدثت بعده حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم** " [٣٨].

وتشير احدى مصادر السنة إلى أن عمر بن الخطاب تنوع في عقابه للمخالفين لهذا القرار من الصحابة ، ففي كنز العمال رواية عن عبدالرحمن بن عوف قال : " **ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق عبدالله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر ، فقال : ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق ؟ قالوا : تنهانا ؟ قال : لا ، أقيموا عندي ، لا والله لا تفارقوني ما عشت ، فنحن أعلم نأخذ منكم ونرد عليكم ، فما فارقوه حتى مات** " [٣٩] . وتشير هذه المروية إلى رغبة الخليفة في السيطرة على حدود انتشار المرويات المنقولة على لسان هؤلاء الصحابة ، إلا أن بعض الصحابة كذلك تعرضوا للاعتقال نتيجة مخالفتهم لقرار الخليفة الثاني ، مثلما رواه الذهبي عن

قيام عمر بن الخطاب بحبس ثلاثة ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري فقال : " **أكثرتم الرواية عن رسول الله** " [٤٠] .

وثمة عقاب آخر استخدمه عمر بن الخطاب مع الصحابي أبي هريرة الدوسي ، حيث يروي الذهبي في سير أعلام النبلاء : " **أن أبا هريرة كان يقول : إني لأحدث أحاديث ، لو تكلمت بها في زمن عمر ، لشج رأسي** " [٤١] . ونقل كذلك على لسان أبي هريرة : " **عن أبي هريرة ، قال : ما كنا نستطيع أن نقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قبض عمر ، كنا نخاف السياط** " [٤٢] ، ويبدو أن الخليفة كان يتخذ موقفاً متشدداً من بعض الشخصيات الصحابية مقابل إبدائه بعض المرونة تجاه شخصيات أخرى ، حيث سمح الخليفة لبعض الصحابة كعبدالله بن عباس وعبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان والسيدة عائشة أم المؤمنين بالرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حدود معينة وتحت مراقبته [٤٣].

وبالرغم من أن الخليفة عثمان بن عفان أعلن عقب توليه السلطة عن ولائه للنموذج الذي اتبعه الخليفتين السابقين ، وأكد على منع رواية أي حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا ما كان قد تم قبوله في عهدهما : " **لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به على عهد أبي بكر ولا على عهد عمر** " [٤٤] ، وقد تعرض الصحابي أبي ذر الغفاري للنفي أكثر من مره في عهد الخليفة الثالث نظراً لرفضه الامتثال لهذا القرار [٤٥].

ويبدو من المرويات التاريخية أن فكرة تحريف مقولات النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد استخدمت سياسياً حتى قبل الدولة الأموية وذلك في خضم الصراع بين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وخصومه ، وقد لجأ إليها الصحابي أبو موسى الأشعري الذي كان والياً للكوفة في عهد الخليفة الثالثة واحتفظ بولايته في بداية عهد الإمام علي عليه السلام ، وسعى في أثناء الصدام الأول بين الإمام وبين أم المؤمنين عائشة والصحابيان طلحة والزبير لتحييد الكوفيين مستخدماً مقولة نسبها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تقول : " **ستكون بعدي فتنةٌ القاعد فيها خيرٌ من القائم** " ، وقد فضح الصحابي عمار بن ياسر هذا التحريف لمقولة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مناظرته لأبي موسى الأشعري موضحاً أن هذا الحديث كان خاصاً بأبي موسى حيث قال النبي له " **ستكون فتنة أنت فيها يا أبا موسى قاعد خير منك قائماً** " ،

واتهم عمار أبو موسى الأشعري ، بكل صراحة ، بأنه تعمد تحريف نص الحديث لمحاولة إقناع الكوفيين بعدم الانضمام للامام علي(عليه السلام) [٤٦] .

على أن هذه الفترة (حكم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان) شهدت كذلك بداية سياسة اصطناع المحدثين ، والتي اعتمدت على تقريب شخصيات محددة مهمتها الترويج لسياسات الخليفة ، وكان من أهم هذه الشخصيات كل من كعب الأحبار ذو الأصول اليهودية ، وتميم الداري ذو الأصل المسيحي .

وتذكر كتب الرجال أن الأول وهو كعب بن ماتع الحميري المتوفي سنة ٣٢ أو ٣٤ [٤٧] بعد الهجرة عن عمر يناهز ١٠٤ عاماً ، وقد عاصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أكبر منه سناً بسبعة عشر عاماً قمرية ، أي أن سنة وقت هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت سبعين عاماً [٤٨] ، ومع ذلك فلم يعتنق الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وتختلف المرويات حول تاريخ اعتناقه الإسلام ما بين عهد الخليفة الأول أو الخليفة الثاني ، لكن الغالبية تشير إلى أنه اعتنق الإسلام في عهد عمر بن الخطاب ، وهو ما أثار ريبة العباس بن عبدالمطلب الهاشمي عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فسأله عن السبب الذي من أجله تأخر اعتناقه للإسلام حتى عهد عمر بن الخطاب ، وكانت إجابة كعب الأحبار غامضة للغاية: " **إن أبي كتب لي كتاباً من التوراة ودفعه إلي ، وقال : اعمل بهذا وختم على سائر كتبه وأخذ علي بحق الوالد على ولده ألا أفض الخاتم ، فلما كان الآن ورأيت الإسلام يظهر ولم أر باساً ، قالت لي نفسي : لعل أباك غيب عنك علماً كتمك فلو قرأته . ففضت الخاتم ، فقرأته فوجدت فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، فجئت الآن مسلماً ، فوالى العباس** " [٤٩].

ويبدو من رد فعل العباس على ما ذكره كعب الأحبار عدم الاقتناع ، خاصة مع الحظوة الكبيرة التي حصل عليها في عهد الخليفة الثاني رغم كونه حديث العهد بالإسلام .

أما تميم الداري فهو قس مسيحي من قبيلة لخم ، اعتنق الإسلام في السنة التاسعة من الهجرة، ومن الغريب أن علماء الحديث يشيرون إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم روى عن تميم الداري حديث الجساسة حيث تنقلب الأوضاع تماماً ويصبح النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الناقل وليس العكس [٥٠] .

وكلا الشخصين كانت لهما مكانة بارزة في عهد الخليفتين الثاني والثالث ، فالأول كان عمر بن الخطاب يسمح له بالتحدث إلى المسلمين قبل صلاة الجمعة ، بينما كان الثاني مستشاراً دينياً لكل من الخليفتين في مسائل عقائدية كمبدأ الخلق والمعاد وحتى تفسير بعض آيات القرآن الكريم [٥١] .

على أن الدور الأساسي لكل من تميم الداري وكعب الأحبار كان إطلاق لقب ميسياني على الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، وهو لقب " **الفاروق** " وهو لقب يطلقه المسيحيين السريان على السيد المسيح باعتباره يعني المخلص ، يقول البطريرك مار أغناطيوس أفرام برسوم الأول في كتابه " **الألفاظ السريانية في المعاجم العربية**": "**والفاروق في عرفنا المسيحي هو المخلص والمنقذ وهو سيدنا المسيح : جاء في مصحف الناموس للروم في فصل (حقوق الله) : [هكذا يقول سيدنا المسيح ووسيطنا وفاروقنا] وورد الفاروق أيضاً بمعنى الواقي والمنجي من الهلاك** " . ويضيف البطريرك مار أغناطيوس في أصل الكلمة : " **والكلمة سريانية forouqo وهي أسم فاعل من فعل fraq الذي يعني : فرق ، فصل وخلص ونجى . وبهذا المعنى جاء الفاروق في عرفنا** " [٥٢].

وبالرغم من أن بعض المرويات تشير إلى تسمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بالفاروق [٥٣] ، فإن هناك نصوص تبدو أكثر اتساقاً مع تاريخ عمر بن الخطاب تؤكد أن التسمية جاءت من طرف أهل الكتاب ، فيروي عمر بن شبة في تاريخ المدينة عم ابن شهاب الزهري : " **بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر : الفاروق ، وكان المسلمون يؤثرون ذلك من قولهم** " [٥٤] .

ويذكر الطبري في تاريخه أن أحد اليهود (لم يذكر أسمه) قد استخدم هذه الكلمة في وصف عمر بن الخطاب أثناء تواجده في الشام متوجهاً إلى بيت المقدس (إيلياء) : " **لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق ، فقال : السلام عليك يا فاروق ! أنت صاحب إيلياء لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء** " [٥٥] . والغريب أن هذا الرجل اليهودي المجهول كان حاضراً أثناء توقيع الصلح بين عمر بن الخطاب وأهل إيلياء بل وسأله عمر بن الخطاب عن الدجال [٥٦] .

أما الأزدي فيذكر في " **فتوح الشام** " ما يشير إلى أن هذا اليهودي هو كعب الأحبار ، وهو ما يثبت محاولته إقناع الخليفة الثاني بأن له دوراً كمخلص بالنسبة لليهود ، فيقول : " **قلت**

لعمر، رضي الله عنه ، وهو بالشام عند انصرافه ، يا أمير المؤمنين ، إنه مكتوب في كتاب الله تعالى ، إن هذه البلاد التي كان فيها بنو إسرائيل ، وكانوا أهلها ، مفتوحة على رجل من الصالحين ، رحيم بالمؤمنين ، شديد على الكافرين ، سره مثل علانيته ، وعلانيته مثل سره ، وقوله لا يخالف قلبه ، والقريب والبعيد عنده في الحق سواء ، وأتباعه رهبان بالليل ، وأسد بالنهار ، متراحمون ، متواصلون ، متنازلون . فقال له عمر رضي الله عنه : ثكلتك أمك ، أحق ما تقول ؟ قال : إي ، والذي أنزل التوراة على موسى ، والذي يسمع ما أقول ، إنه لحق . فقال عمر – رحمة الله عليه – فالحمد لله الذي أعزنا وأكرمنا وشرفنا ، ورحمنا بمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، وبرحمته التي وسعت كل شيء " (٥٧) .

لقد شهدت الفترة الأموية التي بدأها معاوية بن أبي سفيان إجراءات مختلفة في محاولة السيطرة على المرويات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وبرزت أهمية هذه المحاولات عندما قرر الخليفة إستلحاق زياد بن أبيه بنسبة ليصبح فجأة زياد بن أبي سفيان(٥٨)، وفوجيء باعتراضات من يونس بن عبيد الذي قال: " **يا معاوية ، قضى رسول الله أن الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقضيت أنت أن للعاهر وأن الحجر للفراش ، مخالفة لكتاب الله تعالى، وانصرافاً عن سنة رسول الله ، بشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان ، فقال معاوية : والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة بطيئاً وقوعها "** (٥٩).

لقد أدرك مؤسس الأسرة الأموية أن مشروعاته السياسية سوف تصطدم كثيراً بالسنة النبوية وبالتالي فقد بادر بتبني القاعدة التقليدية بحصر المرويات المتداولة في إطار ما كان يروى في عهد الخليفة الثاني : " **أيها الناس إياكم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا حديثاً كان يذكر على عهد عمر رضي الله عنه فإن عمر كان يخيف الناس في الله عز وجل** " (٦٠) .

ثمة إجراء آخر اتخذه معاوية بن أبي سفيان نظراً لطبيعة الموقف السياسي ، وهو منع أي رواية تبرز فضيلة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والذي مثل إليه مناقضاً دينياً واجتماعياً في آن واحد ، ويروي المدائني : " **كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة : أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته وكان أشد البلاء حينئذ أهل الكوفة** " (٦١) .

ومن الواضح أن الإجراء الثاني على وجه الخصوص تم اتخاذه لمواجهة حالة الوعي التي تمكن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من وضع بذرتها في الكوفة وهو ما أثار غضب معاوية وعبر عنه أكثر من مره في محاوراته مع نساء كوفيات متشيعات للإمام علي عليه السلام [٦٢] .

من ناحية أخرى فقد كان لتاريخ معاوية بن أبي سفيان وأسرته في العداء للدعوة الإسلامية أثر سلبي كان بإمكان المعارضة الشيعية على وجه الخصوص ، والتي تستند في المقابل لقوة علاقة الإمام علي عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجهاده بصحبته ، أن تستغله من الناحية الإعلامية ، وقد أبدت بعض الشخصيات الشيعية نوايا من هذا النوع خلال الصراع في صفين ، فقد أرسل معاوية كل من الصحابيان أبي هريرة وأبي الدرداء إلى الإمام علي عليه السلام وجرت محادثة بينهما وبين عبدالرحمن بن غنم الأشعري ، الذي رد عليهما بقوله : " **وأي مدخل لمعاوية في الشورى ؟! وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة ! وهو وأبوه من رؤوس الأحزاب ، وكيف يستقر له الأمر بعد قول عمر : هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد ، ثم في أهل أحد ، ثم في كذا وكذا ، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح** "[٦٣]. كما هاجم الصحابي عمار بن ياسر معاوية أثناء حرب صفين مشيراً إلى تاريخه وتاريخ أسرته السيء في العداء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : " **يا أهل الإسلام ! أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما ، وبغي على المسلمين ، وظاهر المشركين ، فلما أراد الله أن يظهر دينه ، وينصر رسوله ، أتى النبي فأسلم ، وهو والله فيما يرى راهب غير راغب ، وقبض الله رسوله صلى الله عليه وآله وإنا والله لنعرفه بعداوة المسلم ، ومودة المجرم ؟ ألا وإنه معاوية ، فالعنوه ، لعنه الله ، وقاتلوه فإنه ممن يطفئ نور الله ، ويظاهر أعداء الله** " [٦٤].

وقد نقل ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة مروية لأبي الحسن المدائني يسرد فيها تفاصيل السياسة التي تبناها معاوية بن أبي سفيان لتحقيق هدفه في تزييف الوعي والقضاء على مؤثرات فترة خلافة الإمام علي عليه السلام ، فيذكر المدائني أن معاوية كتب إلى عماله : " **أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم ، وقربوهم وأكرموهم واكتبو إلي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته . ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي ؛ فكثر ذلك في كل مصر**

، وتنافسوا في المنازل والدنيا ، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه . فلبثوا بذلك حيناً " (٦٥) .

وعقب انتهاء هذه المرحلة من محاولات تثبيت فضائل الخليفة الثالث والذي تستند الدولة الأموية لشرعيته ، بدأ معاوية بن أبي سفيان محاولات تمييع فضائل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بحيث يمكن اعتباره على أقصى تقدير مجرد صحابياً من بين آلاف الصحابة الذين رويت الكثير في مناقبهم : " **ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر ، وفشا في كل مصر ، وفي كل وجه وناحية ، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ، ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة فإن هذا أحب إلي وأقر إلى عيني ، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته ، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله فقرئت كتبه على الناس ، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها ، وجرى الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر ، وألقي إلى معلمي الكتاتيب ، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير والواسع ، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن ، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم ، فلبثوا بذلك إلى ما شاء الله . . ، فظهرت أحاديث كثيرة موضوعة ، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء ، والقضاءة والولاة** " (٦٦) .

وقد اقتضت هذه السياسة التي تبناها معاوية بن أبي سفيان تقريب بعض الشخصيات المنسوبة للصحابة وبعض الرواة من أجل رواياتهم للمرويات التي تخدم مشروع تثبيت وضع الدولة الأموية مثل أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب وعروة بن الزبير (٦٧) .

وقد نقلت المدونات التاريخية والحديثية الكثير من المرويات التي ذكرتها هذه الشخصيات ونسبتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والتي تصب بوضوح في صالح الأمويين ؛ فروى الأعمش فيما يتعلق بأبي هريرة : " **لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة ، جاء إلى مسجد الكوفة ، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس ، جثا على ركبتيه ، ثم ضرب صلعته مراراً ، وقال : يا أهل العراق ! أتزعمون أني أكذب على الله وعلى رسوله وأحرق نفسي بالنار ! ؟ والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إن لكل نبي حرما وان حرمي**

بالمدينة ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأشهد بالله أن عليا أحدث فيها. فلما بلغ معاوية قوله، أجازه، وأكرمه، وولاه المدينة " (٦٨) .

وروى البخاري عن عمرو بن العاص مروية منسوبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تطعن في بني هاشم : " **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهاراً غير سر يقول أن آل أبي** (يقصد بني عبدالمطلب) **ليسوا بأوليائي وإنما ولي الله وصالح المؤمنين . زاد عنبسة بن عبدالواحد عن بيان عن قيس عن عمرو بن العاص قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لهم رحم أبلها ببلالها يعني أصلها بصلتها** " (٦٩).

ونقل ابن أبي الحديد عن أبي جعفر الإسكافي أن معاوية ساوم سمرة بن جندب كي يروي أن الآية [**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ**] (البقرة ٢٠٢/٢٠١) قد نزلت في الإمام علي بن أبي طالب ، وأن الآية [**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ**] (البقرة / ٢٠٤) قد نزلت في عبدالرحمن بن ملجم قاتل الإمام ، ولم يقبل سمرة بن جندب إلا بعد أن منحه معاوية أربعمائة ألف درهم (٧٠) .

وقد ساهم صحابة آخرون في دعم سياسات معاوية والأمويين لفترة بالرغم من تغير موقفهم لاحقاً ومن بينهم النعمان بن بشير الأنصاري والذي نسب للسيدة عائشة مروية في فضل الخليفة الثالث وفي صحة خلافته : " **كتب معاوية كتابا إلى عائشة قال : فقدمت على عائشة ، فدفعت إليها كتاب معاوية ، فقالت : يا بني ألا أحدثك بشئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ، قلت : بلى ، قالت فإني كنت أنا وحفصة يوما ذاك عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : لو كان عندنا رجل يحدثنا ، فقلت : يا رسول الله ألا أبعث لك إلى أبي بكر ؟ فسكت ، ثم قال: لو كان عندنا رجل يحدثنا ، فقالت حفصة : ألا أرسل لك إلى عمر ؟ فسكت ، ثم قال : لا ، ثم دعا رجلا فساره بشئ فما كان إلا أن أقبل عثمان ، فأقبل عليه بوجهه ، وحدثه ، فسمعته يقول له : يا عثمان إن الله عز وجل لعله يقمصك قميصا فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه (ثلاث مرات) فقلت : يا أم المؤمنين ! فأين كنت عن هذا الحديث ؟ فقالت : يا بني والله لقد أنسيته حتى ما ظننت أني سمعته** " (٧١).

وبغض النظر عن مدى صحة نسبة هذا الحديث لأم المؤمنين عائشة ، فالواقع أن الحديث يسعى بوضوح لتبرير تصرفات الخليفة الثالث والتي جرت عليه غضب الكثير من المسلمين بينما لم يقم الخليفة ولا أي من الصحابة ولا حتى أم المؤمنين عائشة أو أم المؤمنين حفصة باستخدامه لإنقاذ حياة الخليفة ، كما أن أم المؤمنين حتى في أثناء مطالبتها بثأر الخليفة الثالث في معركة الجمل لم تشر لهذا الحديث على الإطلاق .

من ناحية أخرى فقد واصل معاوية بن أبي سفيان الاستعانة بخدمات تميم الداري ذو الأصول المسيحية ، والذي نشر أقاصيصه بمنتهى الحرية في الشام حتى وفاته سنة ٤٠ هجرية ، وقد سعت المرويات الأموية إلى إظهاره بصورة العابد ذو الكرامات إلى درجة مواجهة البراكين ، فيذكر معاوية بن حرمل [٧٢] : " **قدمت على عمر فقلت يا أمير المؤمنين تائب من قبل أن يقدر علي فقال من أنت فقلت معاوية بن حرمل ختن مسيلمة قال اذهب فانزل على خير أهل المدينة قال فنزلت على تيمم الداري فبينا نحن نتحدث إذ خرجت نار بالحرة فجاء عمر إلى تميم فقل يا تميم أخرج فقال وما أنا وما تخشى أن يبلغ من أمري فصغر نفسه ثم قام فحاشها حتى أدخلها الباب الذي خرجت منه ثم اقتحم في أثرها ثم خرج فلم تضره** " [٧٣].

لقد استعانت الدولة في مرحلة لاحقة بخدمات عروة بن الزبير الذي نقل عن السيدة عائشة حديثين فيما يتعلق بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يقول الأول : " **حدثتني عائشة ، قالت : كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعلي ، فقال : يا عائشة ! إن هذين يموتان على غير ملتي ، أو قال : ديني** " [٧٤] .

والمروية الثانية لا تختلف كثيراً عن الأولى في فكرتها ، حيث نسب عروة للسيدة عائشة أنها قالت له : " **كنت عند النبي صلى الله عليه وآله إذ أقبل العباس وعلي ، فقال : يا عائشة ! إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا ، فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب** " [٧٥] .

إلا أن أبرز شخصيتين تم الاستعانة بهما في فترة الدولة الأموية هما : عامر بن شراحيل الشعبي ، ومحمد بن شهاب الزهري .

بالنسبة للأول فقد ولد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وأمه من سبي جلولاء [٧٦] ، وقد بدأ حياته من الموالين للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ككثير من أهل الكوفة ، بل أنه شارك

في ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي للمطالبة بثأر الإمام الحسين عليه السلام [٧٧] ، ومن الواضح أن ولائياته تغيرت لاحقاً لدعم الزبيريين بعد هروبه للمدينة نظراً لصدامه مع المختار [٧٨] ، كما شارك بعدها في ثورة أهل العراق بقيادة ابن الأشعث ضد الأمويين وكان له كلمة تحريضية ضدهم في موقعة دير الجماجم : " **يا أهل الإسلام ، قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم ، والله ما أعلم قوماً على بسيط الأرض أعمل بظلم ، و أجور منهم ، فليكن بهم البدار** " [٧٩]. والغريب أنه كان من القلائل الذين عفا عنهم الحجاج بن يوسف الثقفي ، بعد أن أقر بخطأ مشاركته في الثورة ، وبعدها اصبح نديماً للخليفة الأموي عبدالملك بن مروان والذي استخدمه حتى في بعض المهام الدبلوماسية مع دولة البيزنطية [٨٠] .

وفي مقابل هذا الانقلاب في التوجهات السياسية فقد استخدم الشعبي نفوذه الديني أكثر من مره كما يتضح من مروياته ، فينقل المزي في تهذيب الكمال مروية عنه تسعى لدعم الزبيريين : " **أدركت خمس مئة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقولون : علي وطلحة والزبير في الجنة** " [٨١] . وهي مروية تسعى لتجاوز حقيقة الشرعية العلوية لمرحلة منح الشرعية للجميع بغض النظر عن المعتدي والمعتدى عليه ، وبالتأكيد فمثل هذه السياسة كانت تخدم الزبيريين الذي أصبحوا بموجبها قادرين على تولي السلطة .

وللشعبي مروية شبيهة تسعى لتمييع الخلاف بين الخلفاء الأربعة الأوائل عبر وضعهم في إطار واحد مع جعل الإمام علي عليه السلام أدناهم مرتبة : " **عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: أَدْرَكْتُ خَمْسَ مائَةِ صَحَابِيٍّ، أَوْ أَكْثَرَ، يَقُوْلُوْنَ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ** " [٨٢].

وفي عهد الأمويين تكفل الشعبي بمحاولة تشويه خصومهم وعلى رأسهم المختار بن أبي عبيد الثقفي حيث نسب له إدعاء العلم بالغيب والكذب على محمد بن علي بن أبي طالب [٨٣] ، كما نسب إليه إدعاء النبوة : " **رَوَى: مُجَالِدٌ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: أَقْرَأَنِي الأَحْنَفُ كِتَابَ المُخْتَارِ إِلَيْهِ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ** " ، ويضيف : " **فَقَتَلَ جَمَاعَةً مِمَّنْ قَاتَلَ الحُسَيْنَ، وَقَتَلَ الشِّمْرَ بنَ ذِي الجَوْشِنِ، وَعُمَرَ بنَ سَعْدٍ، وَقَالَ: إِنَّ جِبْرِيْلَ يَنْزِلُ عَلَيَّ بِالوَحْيِ** " [٨٤] .

أما الثاني فهو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، وهناك خلاف على تاريخي مولده ووفاته ، فالأقوال حول مولده تختلف من سنة ٥٠ هجرية وحتى سنة ٥٦ هجرية [٨٥] ، أما وفاته فهي ما بين سنة ١٢٣ إلى سنة ١٢٥ هجرية [٨٦] ، ويبدو من نسبه عداءه للأمويين حيث كان والده من

أصحاب عبدالله بن الزبير [٨٧] ، لكن هذا التراث لم يمنع عبدالملك بن مروان من تقريبه وقضاء ديونه بل وأجرى له راتباً كأحد أصحابه ، وقد استمر ولائه للأمويين حتى وفاته [٨٨] .

أن الموقف السياسي للزهري كان له تأثيراً في الأحاديث التي رواها ، فقد تولى نقل المرويتين اللتين سبق ذكرهما عن عروة بن الزبير والمنسوبتين للسيدة عائشة وتطعن فيهما بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والعباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه . كما نسب مروية للإمام علي بن الحسين عليه السلام تتحدث عن سعي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام للزواج بإبنة أبي جهل : " **عن الزهري ، قال : حدثني علي بن الحسين أن المسور بن مخرمة قال : إن علياً خطب بنت أبي جهل ، فسمعت بذلك فاطمة ، فأتت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم فقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك ، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل . فقام رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم فسمعته حين تشهد يقول : أما بعد ، أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدّثني وصدقني ، وإن فاطمة بضعة مني ، وإني أكره أن يسؤها ، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد. فترك علي الخطبة** " [٨٩] . وهي مروية تطعن في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وتجعله في مواجهة مع السيدة فاطمة عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن الغريب أن راوي هذه القصة وهو المسور بن مخرمة الزهري والذي نقل عنه ابن شهاب ، كان عمره ٨ سنوات قمرية عندما توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يذكر في مرويته متى تمت هذه الخطبة المزعومة [٩٠] .

وهناك مرويات أخرى ذكرها ابن شهاب كانت تطعن بوضوح في الهاشميين لعل أسوأها ما نقله عنه البخاري والذي يظهر فيه حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كسكير لا يدري ما يقوله ويسيء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللإمام علي عليه السلام ويصفهما بأنهما عبيد أبيه : " **عن الزهري قال أخبرني علي بن الحسين أن الحسين بن علي عليهما السلام أخبره أن علياً قال كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاني شارفا من الخمس فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه الصواغين وأستعين به في وليمة عرسي فبينا أنا أجمع لشارفي متاعا من الأقتاب والغرائر والحبال وشارفاي مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار رجعت حين جمعت ما جمعت فإذا شارفاي**

قد اجتب أسنمتهما وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر منهما فقلت من فعل هذا فقالوا فعل حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت في شرب من الأنصار فانطلقت حتى أدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فعرف النبي صلى الله عليه وسلم في وجهي الذي لقيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لك فقلت يا رسول الله ما رأيت كاليوم قط عدا حمزة على ناقتي فأجب أسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بردائه فارتدى ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذن فأذنوا لهم فإذا هم شرب فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل فإذا حمزة قد ثمل محمرة عيناه فنظر حمزة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر فنظر إلى ركبته ثم صعد النظر فنظر إلى سرته ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة هل أنتم إلا عبيد لأبي فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد ثمل فنكص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقبيه القهقرى وخرجنا معه " (٩١) .

وقد استخدم الزهري بعض مروياته للرد على مطالب العلويين وخاصة ما يتعلق بفيء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فينقل البخاري عنه هذه المروية : " **عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان وكان محمد بن جبير ذكر لي ذكرا من حديثه ذلك فانطلقت حتى أدخل على مالك بن أوس فسألته عن ذلك الحديث فقال مالك بينا أنا جالس في أهلي حين متع النهار إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني فقال أجب أمير المؤمنين فانطلقت معه حتى أدخل على عمر فإذا هو جالس على رمال سرير ليس بينه وبينه فراش متكئ على وسادة من أدم فسلمت عليه ثم جلست فقال يا مال إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات وقد أمرت فيهم برضخ فاقبضه فاقسمه بينهم فقلت يا أمير المؤمنين لو أمرت به غيري قال اقبضه أيها المرء فبينا أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفا فقال هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص يستأذنون قال نعم فأذن لهم فدخلوا فسلموا وجلسوا ثم جلس يرفا يسيرا ثم قال هل لك في علي وعباس قال نعم فأذن لهما فدخلا فسلما فجلسا فقال عباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من مال بني النضير فقال الرهط عثمان وأصحابه يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال**

عمر تيدكم أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قال الرهط قد قال ذلك فأقبل عمر على علي وعباس فقال أنشدكما الله أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك قالا قد قال ذلك قال عمر فإني أحدثكم عن هذا الأمر إن الله قد خص رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدا غيره ثم قرأ وما أفاء الله على رسوله منهم إلى قوله قدير فكانت هذه خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما احتازها دونكم ولا استأثر بها عليكم قد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حياته أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك قالوا نعم ثم قال لعلي وعباس أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك قال عمر ثم توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضها أبو بكر فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يعلم إنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فكنت أنا ولي أبي بكر فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عمل فيها أبو بكر والله يعلم إني فيها لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني تكلماني وكلمتكما واحدة وأمركما واحد جئتني يا عباس تسألني نصيبك من ابن أخيك وجاءني هذا يريد عليا يريد نصيب امرأته من أبيها فقلت لكما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما عمل فيها أبو بكر وبما عملت فيها منذ وليتها فقلتما ادفعها إلينا فبذلك دفعتها إليكما فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك قال الرهط نعم ثم أقبل على علي وعباس فقال أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك قالا نعم قال فتلتمسان مني قضاء غير ذلك فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي فإني أكفيكماها " (٩٢).

ومن المرويات التي انفرد بها الزهري وسعى للطعن في أسبقية الإمام علي عليه السلام في الإسلام ما روي عنه : " **ما علمنا أحد أسلم قبل زيد بن حارثة** " ، وقد ذكر ابن عبدالبر في الاستيعاب أنه قال كذلك في مواضع أخرى أن أول من أسلم هي السيد خديجة عليه السلام [٩٣].

وقد انتبه بعض رواة الحديث وعلماء الرجال إلى أن التحاق الزهري بالخلفاء الأمويين قد دفعه لمجاملتهم فقال مكحول الهذلي عنه : " **أي رجل هو ؟! لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك** " [٩٤] . كما شكك يحيى بن معين فيه كما ينقل الحاكم عنه : " **برئت من الأعمش أن يكون مثل الزهري؛ الزهري يرى العرض والاجازة ويعمل لبني أمية، والأعمش فقير صبور مجانب للسلطان ورع عالم بالقرآن** " [٩٥] .

إن ما يمكن استنتاجه من هذا الاستعراض لتاريخ التعامل مع السنة النبوية والمحدثين بها من قبل السلطة يؤكد على أنها خضعت منذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمحاولات السيطرة والتي تراوحت ما بين الإلغاء أو الإخفاء ثم تطورت إلى السيطرة على المحدثين في عهد الخليفتين الثاني والثالث بل والاستعانة بالمسلمين من ذوي الخلفيتين اليهودية والمسيحية في مسائل الاعتقاد ، وأخيراً إصطناع المحدثين في العهد الأموي .

وقد أتت هذه الإجراءات من السلطة الحاكمة ضمن الصراع الاجتماعي الذي برز بين المشروعات المختلفة للطبقات والشرائح الاجتماعية المتواجدة في المدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ونظراً لأن هذه المشروعات بشكل عام كانت تستند إلى دعامات دينية فقد اعتمدت السلطة على هذه الإجراءات لتمرير مشروعاتها الاقتصادية والاجتماعية والتي كانت تدرك تماماً أنها ليست على توافق مع ما هو معروف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

- **منهج العباسيين في تدجين المحدثين واصطناعهم**

مثلت الثورة الاجتماعية التي قادها العباسيون في القرن الثاني الميلادي مشروعاً مستقلاً عن سابقه الأموي والذي اعتمد على المركزية الإقطاعية ، وفي المقابل فقد منح العباسيون الإقطاعيين المحليين في الولايات نوعاً أكبر من الحرية والتقدير متجاوزة العنصرية الواضحة من قبل الأمويين ، كما شهدت الطبقة التجارية حالة من الانتعاش سمحت لها بقيادة حالة من المعرفة والتنوير في المجتمع الإسلامي بلغ ذروته في عهد المأمون العباسي عبر مشروع الترجمة [٩٦] .

ومع هذا التطور الواضح في الوضع الاقتصادي والاجتماعي فقد شهدت الحالة الثقافية والدينية والسياسية كذلك نوعاً من النشاط ، وبرزت العديد من الاتجاهات الدينية التي عبرت عن المشروعات الاجتماعية السالفة ، وانعكس ظهور هذه الاتجاهات على الساحة الثقافية كذلك عبر الصراع ما بين المذاهب المختلفة ، وهو ما ألقى بظلاله على رواية الحديث التي كانت كما هو معروف المنهل الذي سعت هذه المذاهب لإثبات وجاهتها عبره .

لم يكن الخلفاء العباسيين بعيدين عن مراقبة هذه الأوضاع ولا غافلين عن أهمية السيطرة على رواية الحديث ، ولكن مع وعيهم الكامل بوجود متغير أساسي عن المرحلة الأموية ، وهو وفاة كافة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين يروون عنه بشكل مباشر ، بالإضافة لوفاة عدد كبير من الطبقة الأولى للتابعين ، وبالتالي فقد وجد العباسيين أن المنهجية التي ورثوها عن الأمويين في المنع من رواية الحديث لم تعد صالحة في عصرهم ، بل ربما تترك المجال للمرويات الداعمة للمخالفين كالعلويين (خاصة في العراق) وكذلك بني أمية للرواج بما يهدد سلطتهم خاصة في شمال أفريقيا القريب من الأندلس ذو الهوى الأموي [٩٧].

لقد اتخذ العباسيون عدة إجراءات بهدف السيطرة المرويات الحديثية وكذلك تدجين واصطناع رواة الحديث ومنها :

١- **تدوين الحديث** : بالرغم من المرويات المتعددة التي استند إليها الخلفاء الثلاثة الأوائل ثم خلفاء الدولة الأموية في تبرير رفض كتابة الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد قرر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور قيام العلماء بتدوين العلوم سنة ١٤٣ [٩٨] ، وكان من بينها تدوين المرويات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهنا فقد تدخل الخليفة بنفسه اذ امر الإمام مالك بن أنس القيام بتأليف كتابه الموطأ سنة ١٦٣ هجرية : " **يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودوّنهُ، ودوّن منه كُتباً، وتجنّب شدائد عبد الله بن عمر، ورخص عبد الله بن عبّاس، وشواذ عبد الله بن مسعود، واقصد إلى أواسط الأمور، وما اجتمع عليه الأئمّة والصحابة (رضي الله عنهم)، لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكُتبك، ونبثّها في الأمصار، ونعهد إليهم أن لا يخالفوها ولا يقضوا بسواها** " [٩٩] . والغريب أن الإمام مالك بن أنس اعترف في روايته لهذه المقابلة أن الخليفة تعهد إليه بأن يكره علماء العراق وباقي الأمصار على إتباع المرويات التي ذكرها في كتابه : " **فقلت له: أصلح الله الأمير، إنّ أهل العراق لا يرضون**

علمنا، ولا يرونَ في عملهم رأيَنَا . فقال أبو جعفر: يُحملون عليه، ونضرب عليه هاماتِهم بالسيف، ونقطع طي ظهورهم بالسّياط، فتعجّل بذلك وضعها " (١٠٠).

وبذلك فقد وضع الخليفة العباسي المنصور للإمام مالك ما يجب عليه أن يدونه من المرويات في كتاب الموطأ الذي أراد منه تألفيه ليجعله الأساس الديني الذي تقوم عليه دولته العباسية .

٢ – **علم الجرح والتعديل (علم الرجال)** : بالرغم من أن علم الجرح والتعديل ، أو علم رجال الحديث ، قد نشأ بشكل فعلي في العصر الأموي ، ضمن الصراعات التي شهدتها هذه المرحلة سواء بين الاتجاهات الدينية المختلفة أو حتى في صراع التقرب من الأمويين ، فقد تأخر التأليف في علم الجرح والتعديل حتى القرن الثالث الهجري .

كانت البداية بتأليف كتب الطبقات والتي عنت بذكر طبقات الصحابة وطبقات التابعين ، وكان أقدمها كتاب " **الطبقات** " لمحمد بن عمر الواقدي (ت/ ٢٠٧ هجرية) ، ثم كتاب " **طبقات من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه** " للهيثم بن عدي (ت ٢٠٧ هـ) ، وله أيضاً طبقات الفقهاء والمحدثين ، أما كتب الجرح والتعديل فقد تأخرت للقرن الثالث ألف الإمام محمد بن إسماعيل البخاري كتابه " **التاريخ الكبير** " والذي بدأ بتأليفه حسب قوله في سنة ٢١٢ هجرية (١٠١) ، كما ألف عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت/٣٢٧ هجرية) كتابه " **الجرح والتعديل** " وألف ابن حبان (ت/ ٣٥٤ هجرية) كتابيه " **الثقات** " و " **معرفة المجروحين من المحدثين** " (١٠٢)، كما ألف الجوزجاني (ت/ ٢٥٦ هجرية) كتابه " **أحوال الرجال** " (١٠٣) .

ومن الواضح أن هذا العلم قد تم اتخاذه كوسيلة لتحديد الرجال الذين يجب أخذ الحديث منهم ممن لا يشكلون خطورة حقيقية على الدولة العباسية ، وبالتالي فقد تغير الموقف عن الدولة الأموية والتي كان الشتم المتبادل بين رجال الحديث شيئاً طبيعياً لا يؤدي لإسقاط أي منهما كما حدث بين الشعبي وإبراهيم النخعي : " **جاء عن الأعمش انه قال: ذُكر ابراهيم النخعي عند الشعبي فقال: ذاك الأعور الذي يستفتيني بالليل ويجلس يفتي الناس بالنهار، قال فذكرت ذلك لابراهيم، فقال ذاك الكذاب لم يسمع من مسروق شيئاً قط** " (١٠٤) . بل أن هذا الوضع إمتد للفترة الأولى من الدولة العباسية وبرز في العلاقة بين الإمام أبي حنيفة النعمان والإمامين مالك بن أنس وسفيان الثورة وكلاهما طعن في أبي حنيفة ، بل أن الثوري اعتبره شيطان وكل إليه نقض عرى الإسلام : " **الحمد لله الذي أراح المسلمين منه ؛ لقد كان ينقض عرى الإسلام**

عروة عروة، وما ولد في الإسلام مولود أشأم على أهل الإسلام منه " ، وقال أيضاً : " **استتيب أبو حنيفة من الكفر مرتين** " ، وروي عن مالك أنه قال عن أبي حنيفة : " **الداء العضال الهلاك في الدين وأبو حنيفة من الداء العضال** " [١٠٥] .

لكن الجديد في هذه الفترة من الدولة العباسية هو بداية تدوين الطعون على المخالفين للسلطة الحاكمة واتجاهاتها بشكل ثابت ، خاصة أنه في أواخر القرن الثاني الهجري والقرن الثالث كان من الواضح أن الشيعة كمذهب ديني وتيار إجتماعي هو الإشكال الحقيقي الذي يواجه العباسيين ، كما بدأت الدولة العباسية تتجه تدريجياً نحو قدر أكبر من الإقطاع العسكري [١٠٦]تحت وطأة الثورات الاجتماعية الكبرى التي اشتعلت ضدها في الشرق والغرب الإسلاميين كثورة بابك الخرمي في آذربيجان والتي اشتعلت في ٢٠٤ هجرية وثورة البشموريين في مصر والتي اشتعلت في ٢١٦ هجرية [١٠٧] .

ومن هنا فقد ظهرت الحاجة لمحاولة مواكبة هذه التطورات الاقتصادية والاجتماعية ، ولم يعد من المقبول أن يتم التعريف فقط برجال الحديث ، لكن برزت الحاجة إلى منحهم ألقاب التعديل والتجريح بناء على مواقفهم السياسية ، وعلى سبيل المثال فقد رفض رجال الحديث توثيق الشيعة ممن وصوفهم بالغلو في التشيع كما يشير الذهبي بميزان الاعتدال : " **إن البدعة ضربان كغلو التشيع أو التشيع بلا غلو ولا تحرق فهذا أكثر في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو ورد حديث هؤلاء لذهبت جملة الآثار النبوية وهذه مفسدة بينة . ثم بدعة كبرى، كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة** " . ويعرف الذهبي مقصوده من الغلو في التشيع في زمانه وفي زمان السلف : " **فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليا رضي الله عنه ، وتعرض لسبهم . والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين أيضاً، فهذا ضال معثر** " [١٠٨].

وبالتالي فقد قرر علماء الجرح والتعديل قبول المتشيعين الذين لا يمثلون خطورة على شرعية الدولة العباسية والمذهب الديني الذي اتخذته ، أي الذين يتبعون تشيعاً عاطفياً لا أكثر ، كما أن مجرد اتخاذ موقف سلبي من معاوية أو الزبير وطلحة أو حتى الخليفة الثالث لم يكن ليمثل مشكلة حقيقية بالنسبة للسلطة العباسية فتوجهاتها السياسية لم تعد ناشطة في الواقع الإسلامي

سلباً أو إيجاباً ، بل أن التوجه الأموي لكل من عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان كان بكل تأكيد مستهجن في الوسط العباسي ، أما الشيعة الذين اتخذوا موقفاً سلبياً من القاعدة التراثية التي قام عليها التدين العباسي وهي الخليفتين الأول والثاني ، فلم يكن من المقبول في هذه المرحلة الاعتماد على مروياتهم ، كون تشيعهم ليس عاطفياً فقط وإنما مذهبياً كذلك بما يحمله هذا المذهب من تصورات دينية لها مردود إقتصادي واجتماعي يتناقض مع المشروع العباسي .

والغريب أن مثل هذا التشدد في التعامل مع الشيعة المتهمين بالرفض وكراهية الخلفاء الثلاثة ، لم يظهر بنفس القوة في مواجهة المتهمين بالنصب بمعنى بغض الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من المحدثين مثل أبو إسحاق الجوزجاني (ت/ ٢٥٦ هجرية) الذي يوصف بالثقة والثبت والمتقن [١٠٩] .

إن الموقف من المحدث الشيعي جابر بن يزيد الجعفي يمثل نموذجاً واضحاً لهذا التغير في المواقف ، وبالرغم من أن علماء الرجال كانوا يوثقونه كما يبدو في الفترة الأموية والفترة الأولى من الدولة العباسية ، حيث يقول عنه سفيان الثوري : " **إذا قال جابر : حدثنا ، وأخبرنا . فذاك**"، ويقول : " **كان جابر ورعاً في الحديث ، ما رأيت أورع في الحديث منه** " . **ويقول عنه وكيع:** " **مهما شككتم في شيء ، فلا تشكوا في أن جابر ثقة** " . وقال عنه شعبة : " **جابر صدوق في الحديث** " [١١٠] . بل أن الشافعي يروي أنه سمع سفيان الثوري يهدد شعبة : " **لئن تكلمت في جابر الجعفي لأتكلمن فيك ! ** " [١١١].

إلا أن هذا الموقف تغير لاحقاً واتهم جابر بن يزيد الجعفي بالكذب في العهد العباسي ، ومن بين من نهى الناس عن الاستماع لأحاديثه هما سفيان الثوري وشعبة : " **قال لي أبو معاوية : كان سفيان وشعبة ينهياني عن جابر الجعفي ، وكنت أدخل عليه ، فأقول : من كان عندك ؟ فيقول : شعبة وسفيان ! ** " [١١٢] .

ومن الواضح أن موقف جابر بن يزيد الجعفي كمحدث شيعي ينتمي للنموذج الرافضي [١١٣] بحسب تصنيف الذهبي كان له دور كبير في هذا التحول من روايته ، خاصة فيما يتعلق بموقف سفيان الثوري المؤيد للعباسيين .

٣ – **المنح المالية والتقريب** : ورث العباسيون طريقة تقريب المحدثين عبر المنح المالية من الأمويين ، والذين اشرنا إلى طريقتهم في اصطناع كل من الشعبي والزهري وكل منهما كان معارضاً لهما بالأساس وذلك عبر المنح المالية والمناصب .

لقد استخدم أبو جعفر المنصور هذه الطريقة في التعامل مع المحدثين وفي محاولة اصطناعهم وضمهم إلى المؤيدين له ، وكان من أهم الذين اصطنعهم الخليفة أبو جعفر المنصور عبر المال مالك بن أنس ومحمد بن أبي ذئب وعبدالله بن زياد بن سمعان [١١٤] وكان هناك مقابل سياسي لهذه العطايا ، فسبقت الإشارة لتكليف أبو جعفر المنصور لمالك بن أنس بتأليف الموطأ ، كما أن محمد بن أبي ذئب كان له موقف سلبي من ثورة العلويين بالمدينة ورفض دعمها [١١٥] . وبالرغم من كونهم جميعاً كانوا يعملون في خدمة الدولة العباسية لكن الصراع بينهم كان كبيراً ، وافتا ابن أبي ذئب باستتابة مالك أو قتلة نظراً لأنه لم يأخذ بأحد أحاديثه [١١٦]

وقد تطور الأمر في بعض الإحيان إلى محاولة تأليف الأحاديث المنكرة والواضحة الكذب لإرضاء الخلفاء العباسيين وهو ما رواه السيوطي : " **المهدي من ولد العباس عمي** " ، وقد ذكر السيوطي إلى أن راوي هذا الحديث محمد بن الوليد وهو مولى للعباسيين واتهمه بوضع الحديث في إشارة للغرض السياسي خلف هذا الوضع [١١٧] ، ومن المؤكد أن هؤلاء المحدثين لم يكونوا يضعون أحاديث بهذا الشكل المنحاز للعباسيين دون أوامر من السلطة ودون مكافأتها .

كما استغل غياث بن إبراهيم شغف الخليفة المهدي العباسي بالحمام فروى له حدث نسبه لأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " **لا سبق إلا في حافر أو نصل أو جناح** " ، والغريب أن الخليفة منحه عشرة آلاف درهم على هذه المروية رغم معرفته بأنه كذاب [١١٨] .

ومن أهم الرواة الذين خدموا البلاط العباسي كان أبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت/ ٢٢٥ هجرية) ، وقد ولد في البصرة ثم عاش لفترة في المدائن ونسب إليها ، قبل أن ينتقل للإقامة في بغداد ويتعرف على إسحاق بن إبراهيم الموصلي الذي ورث عن أبيه مهمة الغناء للخلفاء العباسيين [١١٩] والذي كان كما ، يعترف بنفسه ، يغدق عليه الأموال : " **أَحْمَد بْن زهير بْن حرب قَالَ: كان أَبِي، ويحيى بْن معين، ومصعب الزبيري يجلسون بالعشيات على باب مصعب، قَالَ فمر عشية من العشيات رجل على حمار فاره، وبزة حسنة، فسلم وخص بمسائله يَحْيَى بْن معين، فقال له يَحْيَى: إِلَى أين يا أبا الحسن؟ فقال: إِلَى هذا الكريم الذي يملأ كمي من أعلاه**

إِلَى أسفله دنانير ودراهم. فقال: ومن هو يا أبا الحسن؟ فقال: أَبُو مُحَمَّد إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم الموصلي، قَالَ فلما ولي قَالَ يَحْيَى بْن معين: ثقة، ثقة، ثقة. قَالَ: فسألت أَبِي فقلت من هذا الرجل؟ قَالَ: المدائني " (١٢٠) .

ومن الغريب أن يعتبره يحيى بن معين ثقة بالرغم من اعترافه بإغداق الموصلي الأموال عليه ، وهو بكل تأكيد كنديم للخلفاء العباسيين لا يغدق عليه الأموال إلا ليدون المرويات التاريخية بما يرضي الخلفاء العباسيين ، ولذلك فقد ساهم في تشويه الثورات الشيعية كثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي (١٢١) .

كما كان هو مصدر المرويات التي تتهم الإمام الحسن عليه السلام بكثرة الزواج : " **وقال أبو الحسن المدائني : كان الحسن عليه السلام كثير التزويج : تزوج خولة بنت منظور بن زياد الفزارية ، فولدت له الحسن بن الحسن وام إسحاق بنت طلحة ابن عبيد الله فولدت له ابنا سماه طلحة ، وام بشر بنت أبي مسعود الأنصاري فولدت له زيدا ، وجعدة بنت الأشعث ، وهي التي سمته ، وهندا بنت سهيل بن عمرو وحفصة ابنة عبد الرحمن بن أبي بكر ، وامرأة من كلب ، وامرأة من بنات عمرو ابن الأهيم المنقري ، وامرأة من ثقيف فولدت له عمر ، وامرأة من بنات علقمة ابن زرارة ، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة فقيل له : إنها ترى رأي الخوارج فطلقها ، وقال : إني أكره أن أضم إلى نحري جمرة من جمر جهنم** " . وروى كذلك: " **وخطب إلى رجل فزوجه وقال له : إني مزوجك وأعلم أنك ملق طلق غلق ، ولكنك خير الناس نسبا وأرفعهم جدا وأبا . وقال: احصى زوجات الحسن عليه السلام فكن سبعين امرأة** " . وفي رواية أخرى يذكر عدد الزوجات والجواري كذلك: " **تزوج عليه السلام سبعين حرة، وملك مائة وستين أمة في سائر عمره وكان أولاده خمسة عشر** " (١٢٢).

وبعيداً عن مدى مصداقية هذا الاتهام ، فإن عدد أبناء الإمام الحسن عليه السلام لا يتناسب مع هذا العدد الكبير من الزوجات والجواري ، لكن يبدو أن مساع المدائني لتشويه الإمام الحسن عليه السلام قد التقت مع العداء العباسي لأبنائه عليه السلام الذين اصطدموا بالعباسيين منذ بداية دولتهم ، بالإضافة لعدائه للشيعة بشكل عام (١٢٣) .

على أن الخليفة المتوكل العباسي تمكن من استقطاب شخصية حديثية تنتمي للأسرة الأموية وهو محمد بن أبي الشوارب (ت/ ٢٤٤ هجرية) ، وهذا ما يبدو غريباً للغاية وإن كان يلتقي مع

الولاء للانتماء الإقطاعي لدى الأسرتين وبالتالي تشابه المشروعين وخاصة في عهد المتوكل، فيذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء: "**قَالَ الصُّوْلِيُّ: نَهَى المُتَوَكِّلُ عَنِ الكَلاَمِ فِي القُرْآنِ، وَأَشخَصَ الفُقَهَاءَ وَالمُحَدِّثِيْنَ إِلَى سَامَرَّاءَ، مِنْهُمُ ابْنُ أَبِي الشَّوَارِبِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُحَدِّثُوا، وَأَجزَلَ لَهُمُ الصِّلاَتِ**"، ولم يقتصر الاستقطاب على الأب بل امتد لأبنائه كذلك كالحسن بن محمد بن أبي الشوارب الذي تم تعيينه قاضياً في حياة أبيه، وأخيه قاضي القضاة علي بن محمد بن أبي الشوارب[١٢٤] .

ومن بين المحدثين الذين استقطبهم المتوكل العباسي في انقلابه على المعتزلة كان المحدث الشهير أبو بكر بن أبي شيبة (ت/ ٢٣٥ هجرية) ، ويذكر الذهبي : " **قال إبراهيم نفطويه : في سنة أربع وثلاثين ومائتين أشخص المتوكل الفقهاء والمحدثين ، فكان فيهم مصعب بن عبد الله الزبيري ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وإبراهيم بن عبد الله الهروي ، وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة ، وكانا من الحفاظ . فقسمت بينهم الجوائز ، وأمرهم المتوكل أن يحدثوا بالأحاديث التي فيها الرد على المعتزلة والجهمية ، قال : فجلس عثمان في مدينة المنصور ، واجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفا ، وجلس أبو بكر في مسجد الرصافة ، وكان أشد تقدما من أخيه ، اجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفا** " [١٢٥] .

وبناء على هذه الأعطيات فقد روى عنه البزار حديثاً نسبه إلى أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للعباس : " **فِيكُمُ النُّبُوَّةُ وَالْمَمْلَكَةُ** " [١٢٦].

وقد صاغ أحد الرواة الذين اجتذبهم العباسيون وهو إبراهيم بن سعيد الجوهري [١٢٧]مروية سياسية بامتياز من أجل العباسيين ليجعلهم أصحاب كساء كأهل البيت عليه السلام ، فيروى عنه الترمذي قوله : " **حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ مَكْحُولٍ ، عَنْ كُرَيْبٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ : " إِذَا كَانَ غَدَاةَ الِاثْنَيْنِ فَأْتِنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ حَتَّى أَدْعُوَ لَهُمْ بِدَعْوَةٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا وَوَلَدَكَ " ، فَغَدَا وَغَدَوْنَا مَعَهُ وَأَلْبَسَنَا كِسَاءً ، ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً ، وَبَاطِنَةً لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا ، اللَّهُمَّ احْفَظْهُ فِي وَلَدِهِ** " [١٢٨] . وكان المحدثين الموالين للعباسيين لم يكفهم هذه المروية فقام رزين العبدري بإضافة عبارة أخرى : " **وَاجْعَلِ الْخِلَافَةَ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ** " [١٢٩] .

وروى الطبراني عن محدث آخر وهو أحمد بن داود المكي: "**عن محمد بن إسماعيل بن عون النبلي عن الحارث بن معاوية بن الحارث عن أبيه عن جده أبي أمه عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعا : [الخلافة في ولد عمي و صنو أبي حتى يسلموها إلى المسيح]** " (١٣٠) . وقد نقلها الطبراني كذلك بصيغة أخرى وبنفس السند: "**حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ دَاوُدَ الْمَكِّيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَوْنٍ النِّيلِيُّ، ثنا الْحَارِثُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي أُمِّهِ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ عِنْدِي لَحَدِيثًا لَوْ أَرَدْتُ أَنْ آكُلَ بِهِ الدُّنْيَا لَأَكَلْتُهَا، وَلَكِنْ لَا يَسْأَلُنِي اللهُ عَنْ حَدِيثٍ أَرْفَعُهُ إِلَى السُّلْطَانِ، قَالَ أَبِي: فَقُلْتُ: مَا هُوَ؟ فَقَالَ: لَمَّا خَرَجَ زَيْدٌ أَتَيْتُ خَالَتِي الْغَدَ فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّهُ قَدْ خَرَجَ زَيْدٌ، فَقَالَتْ: الْمِسْكِينُ يُقْتَلُ كَمَا قُتِلَ آبَاؤُهُ، فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّهُ خَرَجَ مَعَهُ ذَوُو الْحِجَى، فَقَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَذَاكَرُوا الْخِلَافَةَ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَذَاكَرُوا الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ فَقَالُوا: وَلَدُ فَاطِمَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَصِلُوا إِلَيْهَا أَبَدًا وَلَكِنَّهَا فِي وَلَدِ عَمِّي صِنْوِ أَبِي حَتَّى يُسْلِمُوهَا إِلَى الدَّجَّالِ** " (١٣١) .

وقد استدل جلال الدين السيوطي في كتابه " **تاريخ الخلفاء** " بهذين الحديثين على عدم صحة الخلفاء الفاطميين معتبراً أنهم مغتصبين للخلافة ، وبغض النظر عن تسليم الخلافة للمسيح عليه السلام أو الدجال ، فإن كلا الشخصيتين يتوقع ظهورهما في آخر الزمان بما يمنح الخلفاء العباسيين شرعية الاستيلاء على السلطة حتى هذا الوقت ، وهذا الاستدلال الغريب من السيوطي يشير إلى أي مدى حقق الحديثين الغرض منهما .

ومن أهم المحدثين الذين التحقوا بخدمة البلاط العباسي ، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (ت/ ١٨٢ هجرية) ، وكان والده فقيراً وعاش لفترة على إعانات مالية من أبي حنيفة النعمان حتى يتمكن من مواصلة التواجد في حلقة علمه ، ولاحقاً تمكن من التقرب من الخلفاء العباسيين المهدي ثم الهادي وتولى القضاء لهما، لكنه كان أكثر اقتراباً من الخليفة هارون الرشيد : " **وَكَانَ قَاضِيَ الآفَاقِ، وَوَزِيْرَ الرَّشِيْدِ، وَزَمِيْلَهُ فِي حَجِّهِ** " (١٣٢) ، وقد استحدث الرشيد من أجله منصب قاضي القضاة (١٣٣) ، لكن هناك مروية أخرى ينقلها ابن خلكان تشير إلى أن بدايته كانت في عهد الخليفة الرشيد : " **حكى علي بن المحسن التنوخي عن أبي عن جده قال: كان سبب اتصال أبي يوسف بالرشيد أنه كان قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة رحمه الله تعالى**

فحنث بعض القواد في يمين، فطلب فقيهاً يستفتيه، فجيء بأبي يوسف فأفتاه أنه لم يحنث، فوهب له دنانير وأخذ له داراً بالقرب منه. ودخل القائد يوماً على الرشيد فوجده مغموماً، فسأله عن سبب غمه فقال: شيء من أمر الدين قد حزنني فاطلب فقيهاً كي أستفتيه، فجاءه بأبي يوسف. قال أبو يوسف: فلما دخلت إلى ممر بين الدور رأيت فتى حسناً عليه أثر الملك، وهو في حجرة محبوس، فأومأ إلي بأصبعه مستغيثاً فلم أفهم منه إرادته، وأدخلت إلى الرشيد، فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت فقال لي: ما اسمك فقلت: يعقوب أصلح الله أمير المؤمنين، قال: ما تقول في إمام شاهد رجلاً يزني هل يحده قلت: لا، فحين قلتها سجد الرشيد، فوقع لي أنه قد رأى بعض أهله على ذلك وأن الذي أشار إلي بالاستغاثة هو الزاني. ثم قال الرشيد: من أين قلت هذا قلت: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ادرأوا الحدود بالشبهات " وهذه شبهة يسقط الحد معها، قال: وأي شبهة في المعاينة قلت: ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى، والحدود لا تكون إلا بالعلم، وليس لأحد أخذ حقه بعلمه، فسجد مرة أخرى، وأمر لي بمال جزيل وأن ألزم الدار، فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى وهدية أمه وجماعته، وصار ذلك أصلاً للنعمة، ولزمت الدار، فكان هذا الخادم يستفتيني وهذا يشاورني، ولم يزل حالي يقوى عند الرشيد حتى قلدني القضاء "[١٣٤] ، وبحسب هذه المروية فإن أبو يوسف تمكن من التواصل مع الخليفة وقواده عبر التحايل على الشريعة لإقالة العثرات الدينية التي يسقطون فيها ، وفي المقابل تمكن من تحقيق ثروة من العطايا التي كانت تصله منهم .

وثمة قصة أخرى تبرز هذا الدور لأبي يوسف ذكرها ابن خلكان : " **وقال بشر بن الوليد الكندي، قال لي القاضي أبو يوسف : بينا أنا البارحة قد أويت إلى فراشي فإذا داق يدق الباب دقاً شديداً، فأخذت علي إزاري وخرجت، فإذا هرثمة بن أعين، فسلمت عليه، فقال: أجب أمير المؤمنين ..... فجئت ففعلت ذلك فقال: من هذا، فقلت: يعقوب، فقال: ادخل، فدخلت فإذا هو جال وعن يمينه عيسى بن جعفر، فسلمت فرد السلام علي وقال: أظننا روعناك فقلت: إي والله وكذلك من خلفي، فقال: اجلس، فجلست حتى سكن روعي، ثم التفت إلي وقال: يا يعقوب، تدري لم دعوتك قلت: لا، قال: دعوتك لأشهدك على هذا إن عنده جارية سألته أن يهبها لي فامتنع، وسألته أن يبيعها فأبى، والله لئن لم يفعل لأقتلنه، قال أبو يوسف: فالتفت إلى عيسى فقلت له: وما بلغ الله بجارية تمنعها أمير المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزلة قال**

فقال لي: عجلت علي في القول قبل أن تعرف ما عندي، قلت: وما في هذا من الجواب قال: إن علي يميناً بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملك أن لا أبيع في هذه الجارية ولا أهبها، فالتفت إلي الرشيد فقال: هل له في ذلك من مخرج قلت: نعم، قال: وما هو قلت: يهب لك نصفها ويبيعك نصفها، فيكون لم يهب ولم يبع، فقال عيسى: ويجوز ذلك قلت: نعم، قال: فأشهدك أني قد وهبت له نصفها وبعته نصفها الباقي بمائة ألف دينار، فقال له الرشيد: قبلت الهبة واشتريت نصفها بمائة ألف دينار، ثم طلب منه الجارية ، فأتى بالجارية وبالمال، فقال: خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها، فقال الرشيد: يا يعقوب قيت واحدة، فقلت: وما هي فقال: هي مملوكة ولا بد أن تستبرأ، ووالله لئن لم أبت معها ليلتي هذه إني لأظن أن نفسي ستخرج، فقلت: يا أمير المؤمنين تعتقها وتتزوجها، فإن الحرة لا تستبرأ، قال: فإني قد أعتقتها فمن يزوجنيها فقلت: أنا. فدعا بمسرور وحسين، فخطبت وحمدت الله تعالى ثم زوجته إياها على عشرين ألف دينار، ودعا بالمال فدفعه إليها، ثم قال لي: يا يعقوب انصرف، ورفع رأسه إلى مسرور فقال: يا مسرور، فقال: لبيك، فقال: احمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم وعشرين تختاً ثياباً، فحمل ذلك معي. قال بشر بن الوليد: فالتفت إلي أبو يوسف وقال: هل رأيت بأساً فيما فعلت فقلت: لا، فقال: خذ حقك منها، قلت: وما حقي فقال: العشر، قال بشر: فشكرته ودعوت له وذهبت لأقوم، فإذا بعجوز قد دخلت فقالت: يا أبا يوسف إن بنتك تقرئك السلام وتقول لك: والله ما وصل إلي في ليلتي هذه من أمير المؤمنين إلا المهر الذي قد عرفته، وقد حملت إليك النصف منه وخلفت الباق لما أحتاج إليه، فقال: رديه فوالله لا قبلتها؛ أخرجتها من الرق وزوجتها أمير المؤمنين وترضى لي بهذا! قال بشر: فلم نزل نطلب إليه أنا وعمومتي حتى قبلها، وأمر لي منها بألف دينار " (١٣٥) .

وبالرغم من كونه تلميذاً لأبي حنيفة إمام مدرسة الرأي إلى أنه كان أكثر قرباً من أهل الحديث (١٣٦)، وقد تمكن من عقد مصالحة بين الفقهاء والمحدثون كما يروي الذهبي : " **لَمَّا قَدِمَ أَبُو يُوْسُفَ البَصْرَةَ مَعَ الرَّشِيْدِ، اجْتَمَعَ الفُقَهَاءُ وَالمُحَدِّثُونَ عَلَى بَابِهِ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِم، وَقَالَ: أَنَا مِنَ الفَرِيْقَيْنِ جَمِيْعاً، وَلاَ أُقدِّمُ فِرقَةً عَلَى فِرقَةٍ** " (١٣٧) ، ومن المؤكد أن محاولته التقريب بين الفقهاء والمحدثين لا يعود لما تعلمه من أبو حنيفة وإنما لقرارات السلطة العباسية ومصالحها .

كان هناك كذلك المرويات ذات البعدين السياسي والطائفي في آن ، والواقع أن خلفاء الدولة العباسية بصورة عامة ، قد سعوا إلى محاولة خلق منظومة دينية مرضية لكل التيارات اليمينية المتواجدة بحيث تمنحهم الشرعية الدينية والسياسية وفي نفس الوقت تسلبها من الآخرين وكخاصة العلويين والخوارج .

وقد تكفل بعض الرواة باختلاق مثل هذه المرويات وعلى رأسهم مقاتل بن سليمان (ت/ ١٥٠ هجرية) ، حيث ينقل صاحب تاريخ بغداد عنه مروية تحمل الغرضين في آن واحد : " **حَدَّثَنَا مُقَاتِلٌ عَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَخْلِفْ عَلَيْنَا بَعْدَكَ رَجُلا نَعْرِفُهُ وَتُنْهِي إِلَيْهِ أَمْرَنَا، فَإِنَّا لا نَدْرِي مَا يَكُونُ بَعْدَكَ. فَقَالَ: «إِنِ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ رَجُلا فَأَمَرَكُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَعَصَيْتُمُوهُ كَانَ مَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِي، وَمَعْصِيَتِي مَعْصِيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ أَمَرَكُمْ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَأَطَعْتُمُوهُ كَانَتْ لَكُمُ الْحُجَّةُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَكِنْ أَكِلُكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** " [١٣٨] .

وتبدو هذه المروية محاولة لتحطيم مروية رزية يوم الخميس المنقولة عن ابن عباس كذلك: "**عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما حضر النبي صلى الله عليه وسلم قال وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال هلم اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده قال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم قال قوموا عني قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم**"[١٣٩]

ثمة مروية أخرى نقلها البغدادي عن مقاتل بن سليمان وهي مروية تسعى لدعم المنظومة السنية المتشكلة في تلك الفترة والتي تقوم على الاعتراف بالخلفاء الأربعة الأوائل : " **حَدَّثَنَا علي بن الجعد قَالَ: سمعت مقاتل بن سليمان في قول الله: فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ [التحريم ٤] قَالَ: أَبُو بكر، وعمر، وعلي** " [١٤٠].

وبالرغم من أن علماء الرجال طعنوا في مروياته بشكل عام [١٤١] ، لكن من الغريب أنهم جعلوا له شأناً كبيراً في تفسير القرآن الكريم [١٤٢] ، بل أن البعض اتهم علماء الرجال بأن طعنهم

في مقاتل بن سليمان ليس سوى حسداً له [١٤٣] ؛ ودافع عنه ابن تيمية واتهم المعتزلة بتلفيق تهم التجسيم له : " **أَمَّا مُقَاتِلٌ فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ حَالِهِ. وَالْأَشْعَرِيُّ يَنْقُلُ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ مِنْ كُتُبِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَفِيهِمْ انْحِرَافٌ عَلَى مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ، فَلَعَلَّهُمْ زَادُوا فِي النَّقْلِ عَنْهُ، أَوْ نَقَلُوا عَنْهُ، أَوْ نَقَلُوا عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ، وَإِلَّا فَمَا أَظُنُّهُ يَصِلُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ . وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ: مَنْ أَرَادَ التَّفْسِيرَ فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى مُقَاتِلٍ، وَمَنْ أَرَادَ الْفِقْهَ فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ . وَمُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُحْتَجُّ بِهِ فِي الْحَدِيثِ – بِخِلَافِ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ فَإِنَّهُ ثِقَةٌ – لَكِنْ لَا رَيْبَ فِي عِلْمِهِ بِالتَّفْسِيرِ وَغَيْرِهِ وَاطِّلَاعِهِ ، كَمَا أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ وَإِنْ كَانَ النَّاسُ خَالَفُوهُ فِي أَشْيَاءَ وَأَنْكَرُوهَا عَلَيْهِ فَلَا يَسْتَرِيبُ أَحَدٌ فِي فِقْهِهِ وَفَهْمِهِ وَعِلْمِهِ، وَقَدْ نَقَلُوا عَنْهُ أَشْيَاءَ يَقْصِدُونَ بِهَا الشَّنَاعَةَ عَلَيْهِ، وَهِيَ كَذِبٌ عَلَيْهِ قَطْعًا، مِثْلَ مَسْأَلَةِ الْخِنْزِيرِ الْبَرِّيِّ وَنَحْوِهَا، وَمَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ النَّقْلُ عَنْ مُقَاتِلٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ** " [١٤٤] .

وتشير مرويات البغدادي إلى حجم العلاقة بينه وبين الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ، إلى درجة أنها تروي مدى جرأته في الكلام مع خليفة معروف بالصرامة والبطش: "**أن أبا جعفر المنصور كان جالسا فألح عليه ذباب يقع على وجهه، وألح في الوقوع مرارا حتى أضجره. فقال: انظروا من بالباب؟ فقيل مقاتل بن سليمان فقال علي به، فلما دخل عليه قَالَ له: هل تعلم لماذا خلق الله تعالى الذباب؟ قَالَ: نعم، ليذل الله به الجبارين. فسكت المنصور**"[١٤٥].

وبالرغم من المبالغة الواضحة في تصوير مدى جرأة مقاتل في الكلام مع الخليفة العباسي ، إلا أن المروية بشكل عام تؤكد على قوة العلاقة بين الطرفين إلى درجة التي تسمح لمقاتل بمثل هذه اللهجة ، بالإضافة إلى حالة الاعتقاد الكبيرة لدى الخليفة بمدى علم مقاتل بن سليمان بالقرآن الكريم وهو ما أرادت تصويره المروية .

المرويات السياسية لابن سعد : ثمة عنصر آخر قامت السلطة العباسية بتقريبة واصطناعه، وهم موالي الأسرة العباسية ذاتها ، وبالرغم من كون هؤلاء الموالي قد تم تحريرهم من العبودية لكنهم استمروا في الولاء للأسرة العباسية واهتموا بتدوين المرويات التي تمجد فيها ومن بينهم المحدث محمد بن سعد بن منيع (ت / ٢٣٠ هجرية) مؤلف كتاب " **طبقات الكبرى** " ، وهو بالأساس مولى الحسين بن عبدالله بن عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، وقد عمل كاتباً

للواقدي ، وبالرغم من أن علماء الرجال يتخذون موقفاً سلبياً من الواقدي لكن لهم موقف مختلف للغاية من كاتبة .

وقد اتخذ ابن سعد موقفاً واضحاً في محاباته لبني العباس ، حيث سعى للتأكيد على أنهم اعتنقوا الإسلام سراً وهو ما نقله عن عكرمة : " **عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: قال أبو رافع مولى رسول الله. ص: كُنْتُ غُلامًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ الإِسْلامُ قَدْ دَخَلَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ وَأَسْلَمَتْ أُمُّ الْفَضْلِ وَأَسْلَمْتُ. فَكَانَ الْعَبَّاسُ يَهَابُ قَوْمَهُ وَيَكْرَهُ خِلافَهُمْ فَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلامَهُ. وَكَانَ ذَا مَالٍ مُتَفَرِّقٍ فِي قَوْمِهِ فَخَرَجَ مَعَهُمْ إِلَى بَدْرٍ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ** " [١٤٦] ، كما نقل رواية مشابهة عن ابن عباس : " **هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ كَانَ مِنَّا بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ قَدْ أَسْلَمُوا فَكَانُوا يَكْتُمُونَ إِسْلامَهُمْ وَيَخَافُونَ يُظْهِرُونَ ذَلِكَ فَرَقًا مِنْ أَنْ يَثِبَ عَلَيْهِمْ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَيُوثِقُوا كَمَا أَوْثَقَتْ بَنُو مَخْزُومٍ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ وَعَبَّاسَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَغَيْرَهُمَا فَلِذَلِكَ [قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لأَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ: مَنْ لَقِيَ مِنْكُمُ الْعَبَّاسَ وَطَالِبًا وَعَقِيلا وَنَوْفَلا وَأَبَا سُفْيَانَ فَلا تَقْتُلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أُخْرِجُوا مُكْرَهِينَ]** " [١٤٧] .

والواقع أنه بالرغم من مصداقية الادعاء بأن هؤلاء الهاشميين قد خرجوا لحرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكرهين بالفعل نظراً لقرابتهم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لكن هذا لا يعني أنهم كانوا مسلمين سراً ، خاصة أن المرويات لم تفسر سبب عدم هجرتهم للمدينة ، وقد سعت المرويات التي نقلها ابن سعد للاعتذار عن العباس رضي الله عنه بأنه كان له مال متفرق، وبالرغم من أنه لا يمكن اعتباره عذرا خاصة أن هناك صحابة هاجروا وتخلوا عن ثرواتهم.

لقد أرادت هذه المرويات إخفاء حقيقة أن العصبية العشائرية هي التي دفعت عدد من بني هاشم كالعباس رضي الله عنه لدعم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في البداية وليس الإيمان برسالته ، كما أن رفض العباس وبعض الهاشميين الهجرة للمدينة حفاظاً على مصالحهم المالية ليس مجالاً للمدح بكل حال كما أراد ابن سعد .

والغريب أن ينقل ابن السائب الكلبي رواية عن ابن عباس تدعي أن العباس رضي الله عنه اقبل مهاجراً للمدينة برفقة الهاشميين بعد معركة بدر: " **هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ أَبِيهِ**

عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَسْلَمَ كُلُّ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. فَادَى الْعَبَّاسُ نَفْسَهُ وَابْنَ أَخِيهِ عَقِيلا ثُمَّ رَجَعُوا جَمِيعًا إِلَى مَكَّةَ ثُمَّ أَقْبَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرِينَ " [١٤٨] . كما نقل مروية أخرى عن العباسيين تشير إلى أن العباس أسلم أثناء معركة الخندق : " **أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَخِيهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْقُرَشِيُّونَ الْمَكِّيُّونَ الشَّيْبِيُّونَ وَغَيْرُهُمْ أَنَّ قُدُومَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَنَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من مَكَّةَ كَانَ أَيَّامَ الْخَنْدَقِ. وَشَيَّعَهُمَا رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي مَخْرَجِهِمَا إِلَى الأبواء ثم أراد الرجوع إلى مكة فقال لَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ وَأَخُوهُ نَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ: أين ترجع إلى دار الشرك يقاتلون رسول اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَيُكَذِّبُونَهُ وَقَدْ عَزَّ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَكَثُفَ أَصْحَابُهُ. امْضِ مَعَنَا. فَسَارَ رَبِيعَةُ مَعَهُمَا حَتَّى قَدِمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم – مسلمين مهاجرين** " [١٤٩]. وكلتا المرويتين غير تاريخيتين على الإطلاق ، فمن المعروف أن العباس كان خارج وقت فتح مكة سنة ٨ هجرية والتقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين مروره بالظهران ، وقد اقترن بإسلامه عدة أحداث من بينها الأمان الذي منحه النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقرشيين وأبي سفيان [١٥٠].

كما نقل مروية أخرى تجعل العباس في نفس درجة السيدة فاطمة والإمام علي (عليهما السلام) : " **حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ قَالَ: [قَالَ رسول الله. ص: إِنَّمَا الْعَبَّاسُ صِنْوُ أَبِي فَمَنْ آذَى الْعَبَّاسَ فَقَدْ آذَانِي]** " [١٥١]. وهو حديث يبدو أنه روي في مواجهة حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن السيدة فاطمة الزهراء عليه السلام والذي نقله البخاري : " **حدثنا أبو الوليد حدثنا إبن عيينة عن عمرو بن دينار عن إبن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني** " [١٥٢] ، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث آخر حول الإمام علي عليه السلام بهذا المعنى : " **أبان بن صالح حدثني الفضل بن معقل عن عبد الله بن نيار الأسلمي عن عمرو بن شاس الأسلمي وكان من أصحاب الحديبية قال خرجت مع علي بن أبي طالب إلى اليمن فجفاني في سفري ذلك فأتيت المدينة فشكوته في المسجد فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) فدخلت المسجد ذات غداة ورسول**

الله (صلى الله عليه وسلم) جالس في أصحابه مادا إلي عينه أي حدد إلي النظر ثم قال أما والله لقد اذيتني قلت أعوذ بالله من أن أؤذيك قال بلى من أذى عليا فقد اذاني " (١٥٣).

على أن أكثر المرويات التي ذكرها ابن سعد إثارة للدهشة هي مروية توسل عمر بن الخطاب بالعباس للاستسقاء : " **أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي الْمِقْدَامِ عَنْ يَحْيَى بْنِ مُقْلَةٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُوسَى بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فَخَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَسْقِي فَأَخَذَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ فَاسْتَقْبَلَ به القبلة فقال: هذا عم نبيك. ع. جِئْنَا نَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَيْكَ فَاسْقِنَا. قَالَ فَمَا رجعوا حتى سقوا** " (١٥٤) .

وقد استغل أبو جعفر المنصور هذه الشائعة (١٥٥) في رسالته إلى محمد بن عبدالله النفس الذكية عندما خرج عليه سنة ١٤٥ هجرية ، محتجاً عليه بكونها فضيلة وكرامة للعباس : " **ولقد قحط أهل المدينة فلم يتوسل عمر إلى ربه ولم يتقرب إليه إلا بأبينا ، حتى نعشهم الله وسقاهم الغيث ، وأبوك (يقصد علي بن أبي طالب "ع") حاضر لم يتوسل به** " (١٥٦) . مما يشير للغرض السياسي خلف تأكيد ابن سعد على هذه المروية .

ومن الغريب أن أبو جعفر المنصور لم يستدل على الإطلاق بمروية أخرى رواها ابن سعد في الطبقات كان من الممكن في حال صحتها أن تحسم الخلاف السياسي بين العباسيين والعلويين تماماً لمصلحة الأولين وتمنح العباسيين الشرعية التي يفتقدونها : " **أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ عُقْبَةَ اللَّيْثِيُّ ، عَنْ شُعْبَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : " أَرْسَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَجَمَعَهُمْ عِنْدَهُ ، قَالَ : وَكَانَ عَلِيٌّ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةٍ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِهَا ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا لَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَ فِيهِ شَيْئًا حَتَّى أَسْتَشِيرَكَ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : وَمَا هُوَ ؟ ، قَالَ : نَدْخُلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَسْأَلُهُ إِلَى مَنْ هَذَا الأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِينَا لَمْ نُسَلِّمْهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيَ مِنَّا فِي الأَرْضِ طَارِفٌ ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا لَمْ نَطْلُبْهَا بَعْدَهُ أَبَدًا ! فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا عَمِّ ، وَهَلْ هَذَا الأَمْرُ إِلا إِلَيْكَ ، وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يُنَازِعُكُمْ فِي هَذَا الأَمْرِ ؟ قَالَ : فَتَفَرَّقُوا ، وَلَمْ يَدْخُلُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** " (١٥٧) .

وبالرغم من أن حالة الوضع والتلفيق واضحة تماماً في هذه المروية التي تتعارض مع كل سياق وحركة التاريخ الإسلامي ، بل ومع تراث العباسيين ذاتهم الذي كانوا تابعين للعلويين في

البداية ، فإن السيوطي لم يفكر في نقد المروية أو في نقد سندها ، وتركها في كتابه **تاريخ الخلفاء** دون تعليق [١٥٨] .

وثمة مروية غريبة للغاية رواها عن تحليل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسقاية العباسيين النبيذ للحجاج بل وتناوله من هذا النبيذ كذلك : " **أَخْبَرَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مِنْدَلُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ تَمَامٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ مَا تَسْقُونَ النَّاسَ مِنْ نَبِيذِ هَذَا الزَّبِيبِ. أَسُنَّةٌ تَتَّبِعُونَهَا أَمْ تَجِدُونَ هَذَا أَهْوَنَ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّبَنِ وَالْعَسَلِ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: [إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَتَى الْعَبَّاسَ وَهُوَ يَسْقِي النَّاسَ فَقَالَ اسْقِنِي. فَدَعَا الْعَبَّاسُ بِعِسَاسٍ مِنْ نَبِيذٍ فَتَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عُسًّا مِنْهَا فَشَرِبَ ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتُمْ. هَكَذَا اصْنَعُوا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا يَسُرُّنِي أَنَّ سِقَايَتَهَا جَرَتْ عَلَيَّ لَبَنًا وَعَسَلا مَكَانَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أحسنتم هكذا افعلوا]** " [١٥٩].

إن المرويات السالفة تشير بوضوح إلى الوضع السياسي للأسرة العباسية أثناء صراعها مع العلويين ، وهو ما استلزم أن يقوم الرواة بمحاولة منح مؤسس الأسرة الشرعية اللازمة في مواجهة الشرعية العلوية ، خاصة أن حركات العلويين لم تهدأ منذ بداية الدولة العباسية واستنزفت الكثير من طاقة وجهد الخلافة ، بما يجعلنا نفهم سبب هذا الحرص الحثيث من قبل السلطة في اختلاق مرويات معارضة للمرويات التي رواها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأهل البيت كحديث الكساء ، والتي تخلق حقوق للعباسيين لم يسعوا إليها يوماً ولم يطالبوا بها على الإطلاق .

– تطور أساليب التدجين والاصطناع (التحول للمؤسسة)

شهدت نهايات القرن الثالث الهجري وبدايات القرن الرابع عدة تغيرات اقتصادية واجتماعية ، أجبرت الدولة العباسية لاحقاً ، ودول الإقطاع العسكري التابعة لها على تغيير طريقة تعاملهم مع المحدثين .

كان التغير الاقتصادي والاجتماعي ناتج عن تدهور أوضاع الدولة العباسية نتيجة الانتفاضات الإجتماعية التي شهدتها [١٦٠] ، وهو ما منح القيادات العسكرية أهمية بالغة في الدولة ، كما منح الخليفة العباسي المعتصم الفرصة للاعتماد على العنصر التركي الذي تنتمي له والدته وتجنيدهم بالجيش [١٦١] في مقابل قراره بتسريح العنصر العربي بما يعني اقتصار الجند

العباسي على العنصرين الفارسي والتركي [١٦٢]، كما قام باتخاذ مدينة سامراء كعاصمة جديدة ومقر لسكنى جنوده الأتراك ، وكلا الإجراءين إشارة واضحة إلى مدى توجس الخليفة من ولاء القيادات العسكرية العربية ، والفارسية بدرجة أقل [١٦٣] .

وكان نجاح الجيوش العباسية ذات الغالبية التركية في قمع الانتفاضات الداخلية والحفاظ على حدود الدولة العباسية المترامية من الاعتداءات الخارجية [١٦٤] أثر بالغ في إحكام سيطرتهم على الجيش والتي لم تلبث أن تحولت إلى محاولة للسيطرة على الدولة بشكل تدريجي وصل إلى درجة القيام باغتيال الخليفة المتوكل بن المعتصم العباسي [١٦٥]وهي الحادثة التي شكلت بداية تسلط العنصر التركي على الخلافة العباسية بشكل صريح .

ومع هذه السيطرة للعسكرية التركية على الدولة ، سعى الخلفاء العباسيين منذ عهد المتوكل إلى استخدام الأراض الزراعية كوسيلة لمكافأة هذه القيادات العسكرية في محاولة لضمان ولائها للدولة [١٦٦] وهو ما أدى لبروز الإقطاع العسكري وسيطرته كنمط إقتصادي على الدولة .

وبديهي أن هذه الإجراءات الاقتصادية لم تمر دون ردود أفعال إجتماعية وسياسية ، وهو ما مثله التغير الثاني ، والذي تمثل في بروز حركات إجتماعية اتخذت شكلاً دينياً لعل أهمها الحركة الإسماعيلية والتي عبرت عن بعض النخب الشيعية التي تأثرت بالفلسفة اليونانية وبرز ذلك بوضوح في رسائل الدعاة الإسماعيلية المسماة " **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا** " ، ونجحت هذه الحركة عبر استخدامها للتعليم والتنوير الديني والفلسفي [١٦٧] في التأسيس لدولة شيعية كبرى في شمال إفريقيا هي الدولة الفاطمية منذ أواخر القرن الثالث [١٦٨] وشكلت تهديداً كبيراً لسلطة الدولة العباسية .

أما التغيير الثالث فكان علمياً حيث شهدت هذه المرحلة إكتمال تدوين غالبية المرويات المتداولة بين المسلمين بمختلف فرقهم الدينية في موسوعات حديثية كبيرة بالفعل ، بما فيها المرويات الشيعية التي دون محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت/ ٣٢٨ هجرية) الكثير منها في كتابه " **الكافي** " [١٦٩] ، وتلاه كتاب " **من لا يحضره الفقيه** " لأبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت/ ٣٨١ هجرية) ، وفي القرن السادس ألف الشيخ الطوسي (ت/ ٥٤٦ هجرية) كتابيه " **تهذيب الأحكام** " و " **الاستبصار فيما اختلف من الأخبار** " [١٧٠].

هذه التغيرات مع وجود المنافس الديني والسياسي دفعت الدولة العباسية والدول الإقطاعية التابعة لها لمحاولة مواجهة الدعوى الإسماعيلية بنفس الطريقة التي تبنتها عبر مأسسة التعليم الديني وجعله بالكامل تحت سيطرة الدولة مستخدمين تأسيس المدارس الفقهية والحديثية الكبرى المخصصة لتدريس المذاهب السنية الأربعة في الفقه ، بالإضافة لتدريس مذهب الأشعري في الأصول ، بالإضافة إلى تثبيت وضع السلطة القائمة .

والواقع أن فكرة تأسيس المدارس كانت متواجدة سابقاً ، لكنها كانت تعبر عن إجتهادات فردية ولم تمثل حركة مؤسسية ، وكانت أهم المدارس التي إنشئت في العصر العباسي :

١ – مدرسة الإمام أبي حفص الفقيه البخاري (١٥٠هـ – ٢١٧هـ) .

٢ – مدرسة ابن حيان، في بداية القرن الرابع الهجري وفي حوالي سنة ٣٠٥هـ شيد أبو حاتم بن حيان البستي داراً في بلده بست وجعل فيها خزانة كتب وبيوتاً للطلبة .

٣ – مدرسة أبي الوليد، قبل سنة (٣٤٩هـ) أنشئت مدرسة أبي الوليد حسان بن أحمد النيسابوري الشافعي (ت ٣٤٩هـ) ويذكر أنه كان كثير الملازمة لها .

٤ – مدرسة محمد بن عبد الله بن حماد (ت ٣٨٨هـ) الذي وصفه السبكي بأنه كان إلى أن خرج من دار الدنيا وهو ملازم لمسجده ومدرسته .

٥ – المدرسة الصادرية التي أنشأها الأمير شجاع الدولة صادر بن عبد الله سنة ٣٩١هـ في مدينة دمشق .

٦ – المدرسة البيهقية بنيسابور والتي أنشئت قبل أن يولد نظام الملك –وقد ولد سنة ٤٠٨هـ– فتكون هذه المدرسة أنشئت قبل هذا التاريخ .

٧ – مدرسة أبي بكر البستي (ت٤٢٩هـ) والتي بناها لأهل العلم بنيسابور على باب داره ووقف جملة من ماله عليها وكان هذا الرجل من كبار المدرسين والناظرين بنيسابور .

٨ – مدرسة الإمام أبي حنيفة التي أنشئت بجوار مشهد أبي حنيفة وأسسها أبو سعد ابن المستوفي حيث تم افتتاحها قبل افتتاح المدرسة النظامية بخمسة شهور [١٧١] .

وبالرغم من أن هذه المحاولات الفردية كانت تسعى لدعم المذاهب الرسمية المعتمدة في الدولة العباسية ، فإنها لم تكن معبرة عن مخطط سياسي محدد ؛ وقد تغير الأمر في عهد الوزير السلجوقي نظام الملك الذي تابع بدقة تأثير الجامع الأزهر ودار الحكمة الذين أسسهما الفاطميين

بالقاهرة في نشر التشيع الإسماعيلي والذي بلغ حد تهديد سلطة العباسيين في بغداد ذاتها وعزل الخليفة على يد القائد البويهي البساسيري [١٧٢] .

ويذكر الدكتور الصلابي أن فكرة تأسيس المدارس نشأت مع اعتلاء السلطان السلجوقي ألب أرسلان عرش الدولة السلجوقية عام ٤٤٥ هجرية على يد وزيره الحسن بن علي الطوسي ، الملقب بنظام الملك : " **فرأى هذا الوزير أن الاقتصار على مقاومة الشيعة الإمامية والإسماعيلية الباطنية سياسياً لن يكتب له النجاح إلا إذا وازى هذه المقاومة السياسية مقاومة فكرية، ذلك أن الشيعة – إمامية كانوا أو إسماعيلية– نشطوا في هذه الفترة وما قبلها إلى الدعوة لمذهبهم بوسائل فكرية متعددة، وهذا النشاط الفكري ما كان ينجح في مقاومته إلا نشاط سني مماثل يتصدى له بالحجة والبرهان، خاصة أن السلاجقة ورثوا في فارس والعراق نفوذ بني بويه الشيعيين، وهؤلاء لم يألوا جهداً في تشجيع الإمامية على نشر فكرهم، كما غضوا الطرف عن نشاط دعاة الإسماعيلية في فارس والعراق وترتب على ذلك كله تزايد نفوذ الشيعة فيهما، خاصة بعد أن لجأ الشيعة إلى إنشاء مؤسسات تعليمية تتولى الترويج لعقائدهم، وتعمل على نشرها، فقد أنشاء أبو علي بن سِوار الكاتب أحد رجال عضد الدولة (ت ٣٧٢هـ) دار كتب في مدينة البصرة وأخرى في مدينة رام هرمز وجعل فيها إجراء على من قصدهما، ولزم القراءة والنسخ وكان في الأولى منهما شيخ يدرس عليه علم الكلام على مذهب المعتزلة ، كما أسس أبو نصر سابور بن أرد شير وزير بهاء الدولة (ت ٤١٦هـ) داراً للعمل في الكرخ في عام ٣٨٣هـ، ووقف فيها كتبًا كثيرة، ذكر ابن الأثير أنها بلغت عشرة آلاف وأربعمائة مجلد في أصناف العلوم، وأسند النظر في أمرها ورعايتها إلى رجلين من العلويين يعاونهما أحد القضاة ، وبعد وفاة سابور آلت مراعاة هذه الدار إلى الشريف الرضى نقيب الطالبيين كذلك اتخذ الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) الشاعر الإمامي المشهور دارًا أسماها دار العلم، وفتحها لطلاب العلم، وعين لهم جميع ما يحتاجون إليه . ويدل مجرد اسم هذه المؤسسات على الفرق بينها وبين دور الكتب القديمة، فكانت دار الكتب تسمى قديماً خزانة الحكمة، وهي خزانة كتب ليس غير، أما المؤسسات الجديدة فتسمى دور العلم، وخزانة الكتب جزء منها . وهذا يشير إلى أن هذه الدور الجديدة كانت لها وظيفة تعليمية أيضاً** " [١٧٣].

لقد بدأ نظام الملك بتأسيس المدارس النظامية ، واشترط فيها أن يكون المدرس شافعياً اصلاً وفرعاً ، بحيث يتمكن من السيطرة على المعتقدات المنتشرة بين الناس والتي من الضروري أن تصب في مصلحة السلطة السياسية (١٧٤) .

ومن الواضح من الأماكن التي تم اختيارها لتأسيس مدارسه النظامية هو حجم النشاط الشيعي المنتشر بها بما يؤكد أن الغرض الأساسي لهذه المدارس هو مواجهة المعارضة الشيعية وهي المعارضة الوحيدة التي احتفظت بتوهجها في المرحلة بعد أفول نجم المعتزلة والخوارج ، فقد بنى نظام الملك مدارسة في المدن التالية : " **يقول السبكي عن نظام الملك: إنه بنى مدرسة ببغداد ومدرسة ببلخ، ومدرسة بنيسابور، ومدرسة بهراة، ومدرسة بأصفهان، ومدرسة بالبصرة، ومدرسة بمرو، ومدرسة بآمل طبرستان ومدرسة بالموصل** " (١٧٥) .

وقد خضعت هذه المدارس النظامية لسيطرة الوزير نظام الملك المطلقة ، وكان هو الوحيد الذي يقوم بتعيين المدرسين بها وهو ما يشير إليه العماد الأصفهاني : " **وكان بابه مجمع الفضلاء، وملجأ العلماء، وكان نافذا بصيراً ينقب عن أحوال كل منهم، فمن تفرس فيه صلاحية الولاية ولاه .. ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه، ورتب له ما يكفيه حتى ينقطع إلى إفادة العلم ونشره وتدريسه، وربما سيره إلى إقليم خال من العلم ليحلّي به عاطله، ويحيي به حقه، ويميت به باطله** " (١٧٦) .

وقد أدت شهرة هذه المدارس العلمية وما كان معلموها يحصلون عليه من أموال وقيمة ومكانة إلى نجاح نظام الملك في استقطاب العديد من العلماء للتدريس في مدارسة مثل أبي بكر محمد بن ثابت الخجندي الذي عينه نظام الملك مدرساً في نظامية أصفهان ، والشريف العلوي الدبوسي الذين استدعاه للتدريس في نظامية بغداد (١٧٧) .

ولم يبخل نظام الملك في النفقات على هذه المدارس كي تتمكن من اجتذاب الطلاب لصفوفها ، فأوقف على نظاميته ببغداد ضياعاً وأملاكاً ، كما قدرت نفقات نظاميته بأصفهان وقيمة أوقافها بعشرة آلاف دينار ، وهو ما ينطبق على باقي نظامياته (١٧٨).

في المقابل اقتدى حكام الشام ومصر بمثل هذه الخطوة التي لجأ إليها نظام الملك ، فبنى نور الدين زنكي في الشام عدة مدارس لتدريس المذهبين الشافعي والحنفي ، وواصل صلاح الدين

الأيوبي هذه السياسة في مصر والشام لنفس الأهداف المرتبطة بمحاولة دعم سلطته الحاكمة وبالسعي للقضاء على المذهب الشيعي ، حيث اتخذ قراره بإغلاق كل المساجد الفاطمية [١٧٩].

وقد تمكنت هذه المدارس من تحقيق قدر كبير من الشهرة لما كان يغدقه صلاح الدين من أموال ضخمة على المدارس وطلبتها والمدرسين بها ، وقد بلغت مرتبات الفقهاء والمدرسين بدمشق ثلاثمائة ألف دينار ، وكان عددهم ستمائة فقيه ومدرس ، كما أوقف على هذه المدارس أوقافاً كي يضمن دخلاً ثابتاً لها يكفي لإعاشة الطلاب والمدرسين [١٨٠] .

على أن التميز الأساسي كما يبدو لدى صلاح الدين وآل زنكي هو عدم تعصبهم للمذهب الشافعي وبنائهم المدارس لكافة المذاهب . ومن أهم المدارس التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي:

المدرسة الناصرية: بناها صلاح الدين في مصر (الفسطاط) سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م ، وكان في ذلك الوقت وزيراً للفاطميين ، وخصصة لتدريس المذهب الشافعي .

المدرسة القمحية: وهي كذلك تم بنائها أثناء تولي صلاح الدين الوزارة للفاطميين ، وخصصها لدراسة المذهب المالكي .

المدرسة الصلاحية: هي أول مدرسة تم إنشائها بعد انفراد صلاح الدين بالحكم في مصر ، وأقيمت بجوار قبر الإمام الشافعي بالقرافة ، وخصصها لتدريس المذهب الشافعي، وأول من درس بها الفقيه الزاهد نجم الدين الخبوشاني (ت:٥٨٧هـ/ ١١٩١م) ، وقد منحه صلاح الدين في كل شهر أربعين ديناراً عن التدريس ، وعشرة دنانير عن النظر في أوقاف المدرسة ، ورتّب له من الخبز في كل يوم ووقف ستين رطلاً، ورواتين من ماء النيل . وأوقف عليها حمّاما وحوانيت .

المدرسة السيفية: أسسها صلاح الدين بعد أن أصبح ملكاً على مصر، وخصصها لتدرس المذهب الحنفي ، وعيّن للتدريس فيها الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الجيني . ورتّب له في كل شهر أحد عشر ديناراً. وباقي ريع وقفها ، يصرفه على ما يراه لطلبة الحنفية المقررين عنده ، على قدر طبقاتهم [١٨١] .

وهناك مدارس أخرى أسسها صلاح الدين الأيوبي في الشام لعل أهمها : المدرسة الصلاحية في دمشق التي خصصها لتدريس المذهب الشافعي ، كما أنشأ مدرسة بنفس الإسم في القدس وجعل التدريس فيها على المذهب الشافعي كذلك [١٨٢].

ومن المثير أن رجال الدولة الأيوبية قد واصلوا هذه السياسة في إنشاء المدارس المخصصة لدراسة المذاهب الأربعة خاصة في مصر الذي استمر التشيع قائماً بها لفترات طويلة بعد سقوط الفاطميين خاصة في الصعيد ، فأنشأ جمال الدين بن جمال الدولة خادم صلاح الدين المدرسة الإقبالية في مصر وخصصها لدراسة المذهبين الشافعي والحنفي ، كما أنشأ الأمير تقي الدين بن عمر شاهنشاه بن أيوب مدرسة منازل العز وخصصها لدراسة المذهب الشافعي ، وقد بنى هذا الأمير مدارس أخرى في حماة ودمشق والفيوم للشافعية والمالكية [١٨٣].

لقد كان اللجوء إلى المؤسسات التعليمية ضرورياً من أجل مواجهة المنظومة التعليمية الشيعية المعبرة عن طموحات الطبقتين التجارية والكادحة ، بمنظومة تعليمية أخرى تقوم على المذهب الشافعي في الفروع والأشعري في الأصول وكلاهما يخدمان كما هو واضح طموحات الإقطاع العسكري الجديد الذي سيطر على الأوضاع في الولايات الإسلامية منذ عهد المتوكل العباسي ، وقد فرض هذا الانتشار الضخم للتشيع أن تشرف الدول ذاتها على عملية التعليم وعدم السماح بأي تسرب لأي معتقد أو فكرة يمكن أن تهدد كيانها .

وقد أثرت هذه المدارس والأهداف التي بنيت من أجلها في الذهنية التي يعتمد عليها الفقهاء في استنباط الأحكام وفي تعاملهم مع المرويات الحديثية، إلى درجة قول ابن العربي: "**الحسين قتل بشرع جده** " [١٨٤] وهي مقولة توضح تماماً حقيقة الذهنية التي ساهمت هذه المدارس الدينية في تشكيلها ودرجة رسوخ الاستغراق في العصبية المذهبية .

من ناحية أخرى فقد شهد علم الجرح والتعديل ، تغيرات أخرى معتمدة على المذهب ، فبالرغم من اتفاق علماء الرجال السابقين على رفض مرويات الإخباري سيف بن عمر التميمي ، واتهمه أبو حاتم بن حبان بأنه يروي الموضوعات عن الأثبات وأنه يضع الحديث ، كما وصف يحيى بن معين بطريقة تحقيرية : " **فلس خير منه** " ؛ فقد حاول الذهبي في ميزان الاعتدال أن يخفف من وقع هذه الاتهامات لسيف عبر وصفه بأنه : " **إخبارياً عارفاً** " وذلك بالرغم من أنه يروي ذات الاتهامات ويضيف عليها باتهام آخر باعتناق الزندقة [١٨٥].

وسوف يتضح الهدف الذي دفع الذهبي إلى هذا التخفيف من وقع مواقف علماء الرجال السابقين من سيف عندما يتحدث عن إخباري آخر وهو أبو مخنف لوط بن يحيى المتهم لدى الذهبي بالتشيع، حيث يقول : " **لوط بن يحيى ، أبو مخنف، أخباري تالف ، لا يوثق به** " [١٨٦].

وبالرغم من أن أقوال علماء الرجال في أبو مخنف أقل كثيراً من أقوالهم في سيف بن عمر التميمي ، حيث لم يتهم من قبلهم بالزندقة أو بوضع الحديث ، فابن معين وصفه بأنه ليس بثقة ، بينما وصفه الدراقطني بالضعف ، فقد أضاف الذهبي من عنده عبارة جديدة بأنه إخباري تالف ولا يوثق به [١٨٧]، ومن الواضح تماماً أن الفارق الجوهري بين الإخباريين هو أن لوط بن يحيى شيعي بينما سيف بن عمر التميمي ليس شيعياً ، فتم وصف الأول بالتالف والثاني بالعارف رغم الاتهامات الموجهة له بوضع المرويات على لسان الثقاة والزندقة .

إن هذا التغير المؤسسي ألقى بظلاله على طريقة التعامل مع المرويات التي يوجد في سندها رواة شيعة ، وبديهي أن هذه المرويات شهدت تشدداً سنياً في التعامل معها بناء على هذا الموقف الغريب من الذهبي .

الخاتمة

ثمة عناصر من الممكن صياغتها كنتائج لهذا البحث :

١- أن التعامل مع السنة النبوية قد شهد تنوعاً عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لدى الاتجاهات المخالفة للتشيع ، وتراوح ما بين رفض السنة النبوية والاكتفاء بالقرآن الكريم ، ثم تطور لرفض تدوين السنة وحرق ما دون منها ، وتم دعم هذا الموقف بالمنع من الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعاقبة المخالفين ، ثم تم تعديله عبر السماح لشخصيات معينة بالرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي حدود ضيقة.

٢- كان هناك دور واضح للمسلمين المنتمين لأصول يهودية أو مسيحية في صياغة بعض المعتقدات الدينية لدى المسلمين بالرغم من أنهم لم يكونوا ضمن صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لم يكونوا من الصحابة المقربين ، لكن سمح لهم الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم برواية تصوراتهم وأقاصيصهم ، واستمر هذا الموقف في ظل الحكم الأموي .

٣- شهد الصراع السياسي في فترة الخلفاء الراشدين أولى محاولات تزييف المرويات وقام بها الصحابي أبو موسى الشعري أثناء محاولته إقناع الكوفيين بعدم الانضمام للإمام علي عليه السلام في حرب الجمل .

٤- شهدت المرحلة الأموية أولى المحاولات المنهجية للسيطرة على مسارات رواية الحديث وذلك رداً على حركة الوعي التي انتشرت أثناء حكم الإمام علي عليه السلام ، واعتمدت على نشر مرويات تطعن في الإمام عليه السلام وإغراء الرواة بالمكافآت المالية كأبي هريرة وسمرة بن جندب وعروة بن الزبير .

٥- كما شهدت المرحلة المروانية من الدولة الأموية محاولات تدجين عدد من الرواة الذين كانت لهم مواقف معارضة سابقة من الأمويين كعامر بن شراحيل الشعبي ، ومحمد بن شهاب الزهري .

٦- في العصر العباسي حدثت بعض التغيرات التي دفعتهم لإيجاد منهجية جديدة لعل أهمها وفاة كل صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعدد كبير من الطبقة الأولى من التابعين ، بالاضافة للظروف السياسية المتعلقة بالمعارضة الأموية والعلوية والخارجية ، وهنا قرر الخلفاء العباسيين تدوين الحديث النبوي عبر الإمام مالك وفرضه على المسلمين في كل ولايات الخلافة ، كما قرروا استخدام الأموال والمكانة الاجتماعية والمناصب لتدجينهم واستقطابهم ، وهو ما حدث مع الإمام مالك وابن أبي ذئب وأبو يوسف .

٧- برزت في العصر العباسي في أواخر القرن الثاني ضرورة تحديد الرجال الذين من الممكن قبول أحاديثهم ، بما يعني النفي الديني لكل من يخالف مذهب ومصالح الدولة العباسية ، وبالتالي فقد شهدنا تغير الموقف من رواة كجابر بن يزيد الجعفي والذي كان موثقاً في البداية ، ثم تحول الموقف منه للطعن فيه واتهامه بالكذب نظراً لتشيعه .

٨- واصل العباسيون محاولة تدجين بعض العلماء المعادين لهم مثل ابن أبي الشوارب وأبنائه الذين تولوا القضاء في عهد المتوكل ومن بعده من الخلفاء ، وساعده الأب في إيقاف المعركة العقائدية حول خلق القرآن .

٩- في مرحلة لاحقة سعت الدولة العباسية والدول الإقطاعية العسكرية التابعة لها إلى مأسسة الوضع الديني ومن بينه الموقف من الحديث فتم إنشاء المدارس النظامية وغيرها لمواجهة المنظومة الفكرية الشيعية بشكل عام والإسماعيلية بشكل خاص ، وهو ما سمح للدولة بالسيطرة أكثر على توجهات ومسارات الحديث النبوي والعلوم المرتبطة به وحتى الفتاوى

الفقهية نظراً لما كانت تمنحه لمدرسي هذه المدارس وطلابها من مرتبات كبيرة بالاضافة للشهرة والمكانة الاجتماعية .

١٠- أدى محاولة تحويل الدراسة الدينية إلى مؤسسة رسمية تابعة للسلطة إلى سيطرة أكبر للدول القائمة على دواع دينية ومذهبية على الوضع الديني وبالتالي فقد تمت تحولات أخرى في التعامل مع الرواة الذين أصبحوا ممدوحين أو مذمومين لمجرد موقفهم من التشيع وليس لوثاقتهم أو صدقهم .

إلا أن هناك نتيجة أخرى من الضروري مناقشتها بناء على العناصر السابقة ، فالمسار الذي اتخذه المعتقد الديني للمذاهب المرتبطة بالسلطة سواء الأموية أو العباسية ، والذي تلقى كل هذه المرويات المزيفة والمتسمة بالتناقض والتعارض نتيجة تغير السلطة وتبدل مصالحها ، لابد وأن يكون هناك تساؤلات حول مدى مصداقيته في التعبير عن الإسلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

إن هذا الاضطراب في التعامل مع المرويات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واضطرارهم لتطبيق قواعد علم الجرح والتعديل بناء على المواقف السياسية المتغيرة للسلطة قد دفعهم للقول بإمكانية نسخ السنة المنسوبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم للآيات القرآنية في محاولة للتوفيق بين الأحاديث الصحيحة والنصوص القرآنية التي تصطدم بها ، فيقول ابن قتيبة : " **وإذا جاز أن ينسخ الكتاب بالكتاب جاز أن ينسخ الكتاب بالسنة لأن السنة يأتيه بها جبريل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى فيكون المنسوخ من كلام الله تعالى الذي هو قرآن بناسخ من وحي الله عز وجل الذي ليس بقرآن ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتيت الكتاب ومثله معه يريد أنه أوتي الكتاب ومثل الكتاب من السنة ولذلك قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** " [١٨٨] ، ومن ثم فقد وجدت بعض المرويات التي قيل أنها صحيحة المجال للعقائد الإسلامية بالرغم من كونها تجسيدية واضحة مثل مروية رؤية الله تعالى التي تتعارض مع الآية القرآنية : " **لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** " (الأنعام / ١٠٣) ، ولم يجد ابن قتيبة في محاولته فض الخلاف بين الحديث والآية القرآنية سوى القول بأن : " **حديث رسول الله قاض على الكتاب ومبين له** " في محاولة

عبثية للبحث عن وسيلة تجمع بين الحديثين كي يتوصل في النهاية إلى أن الله لا تدركه الأبصار في الدنيا وذلك دون الاستدلال بأي دليل على هذا الاستنتاج [١٨٩].

لقد أكد هذا البحث على أن هناك حالة من التزييف المتراكم التي تسربت للجسد الإسلامي نتيجة الصراعات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبرزت في صورة صراعات دينية وسياسية ، وفي الوقت الذي كان هناك اتجاه يدرك تماماً أن مصالحه تتعارض مع سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالتالي فقد اضطر طوال مسيرته المتنوعة إلى تزييف الأحاديث ومحاولة تحصين مصالحه بناء على هذا التزييف ، كان هناك اتجاه آخر صاغ مصالحه الاقتصادية والاجتماعية بناء على سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والنصوص القرآنية ، واضعاً قاعدة أساسية لقبول المرويات وهي التوافق مع القرآن الكريم [١٩٠].

الهوامش

١.هناك اختلاف بين المشروع المعارض والمشروع المتناقض مع السلطة من النواح الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فالمشروع المعارض يقتصر على الخلاف السياسي مع السلطة مع خلافات شكلية وإجرائية في النواح الاقتصادية وتداعياتها الاجتماعية ، أما المشروع المناقض فهو الذي يختلف مع مشروع السلطة في النواح الاقتصادية وتداعياتها الاجتماعية وبالتالي السياسية كونه يمثل مشروعاً معبراً عن طبقة إجتماعية مختلفة .

٢. معجم المعاني . مفردة (إصطلاح) . موقع http://www.almaany.com (بتاريخ ٢٢ أكتوبر ٢٠١٦) .

٣. م . س . مفردة (حديث) . موقع http://www.almaany.com (بتاريخ ٢٢ أكتوبر ٢٠١٦) .

٤.م . س . موقع http://www.almaany.com (بتاريخ ٢٢ أكتوبر ٢٠١٦) .

٥.م . س . موقع http://www.almaany.com (بتاريخ ٢٢ أكتوبر ٢٠١٦) .

٦.م. س. موقع http://www.almaany.com (بتاريخ ٢٢ أكتوبر ٢٠١٦). يجب مراجعة، د. عبدالستار حامد. مباحث في علوم القرآن. بغداد ١٩٨٠ . ص ٤١ .

٧.م . س . موقع http://www.almaany.com (بتاريخ ٢٢ أكتوبر ٢٠١٦) .

٨.م . س . مفردة (محدث) . موقع http://www.almaany.com (بتاريخ ٢٢ أكتوبر ٢٠١٦) .

٩. م . س . مفردة (إصطنع) . موقع http://www.almaany.com (بتاريخ ٢٢ أكتوبر ٢٠١٦) .

١٠. أحمد صبري السيد علي . الجذور الطبقية لثورة الإمام الحسين . طبعة دار الحمراء . بيروت ٢٠٠٨ . ص ٣٢ – ٣٩ .

١١. م . س . ص ٤٤ ، ٤٥ .

١٢. م . س . ص ٤٨ ، ٤٩ .

١٣. م . س . ص ٥٠ ، ٥١ .

١٤. ابن عساكر. تاريخ دمشق . تحقيق / عمرو بن غرامة العمروي . طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ١٩٩٥ . ج ٦٩ ص ٢٢٦ ، ٢٩٢ .

١٥. أحمد صبري السيد علي . الجذور الطبقية . م . س . ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

١٦. م . س . ص ١٤٨ .

١٧. م . س . ص ١٢٥ ، ١٤٨ .

١٨. م . س . ص ١٢٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

١٩. م . س . ص ٤٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

٢٠. م . س . ص ١٢١ ، ١٢٢ .

٢١. محمد بيومي مهران . الإمامة وأهل البيت . موقع شبكة الشيعة العالمية http://www.shiaweb.org . بتاريخ ١ نوفمبر ٢٠١٦ . ص ٦٦ – ٦٩ .

٢٢. لينين . تطور الراسمالية في روسيا . ترجمة فواز طرابلسي . دار الطليعة . بيروت ١٩٧٩ . مدونة اكتب لكي لا تكون وحيداً https://ayman1970.wordpress.com . بتاريخ ١ نوفمبر ٢٠١٦ .

٢٣. يوليوس فلهاوزن . الخوارج والشيعة . ترجمة / عبدالرحمن بدوي . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٨ . ص ٩١ ، ٩٢ .

٢٤. محمود إسماعيل . الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري . دار الثقافة . الدار البيضاء ١٩٨٥ . ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٥٦ .

٢٥. الماوردي . الأحكام السلطانية . طبعة دار الحديث . القاهرة (بدون ذكر سنة النشر) . ص ٢٠ – ٢٣ .

٢٦. محمود إسماعيل . الحركات السرية في الإسلام . دار سينا للنشر – دار الانتشار العربي . بيروت . ص ٤٩ – ٥٤ .

٢٧. م . س . ص ١٠٦ . بندلي جوزي . من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام . مطبعة الهناء . بيروت ١٩٧٨ . ص ٣٢ .

٢٨. أحمد صبري السيدعلي . الجذور الطبقية لثورة الإمام الحسين . م . س . ص ٣٢ – ٣٥ .

٢٩. م . س . ص ٣٢ .

٣٠. أكد الخليفة عمر في فترة مرض النبي (ص) على أن المرجعية الأساسية هي للقرآن فقط ، بحسب ما يرويه البخاري عن عبدالله بن عباس في رزية يوم الخميس : " لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى الله عليه وسلم هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال عمر إن

النبي صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم " . (محمد بن إسماعيل البخاري . صحيح البخاري . طبعة مركز الدراسات والإعلام (دار إشبيليا) . الرياض ١٩٧٩ . ج ٧ ص ٩) .

٣١. جلال الدين السيوطي . تاريخ الخلفاء . طبعة دار الفكر . بيروت ١٩٧٤ . ص ٦٦ .

٣٢. محمد بن جرير الطبري . تاريخ الرسل والملوك . تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف . القاهرة ١٩٧٩ . ج ٣ ص ٢٠٢ .

٣٣. عثمان بن محمد الخميس . حديث عائشة وقصة فدك (١) تخريج حديث عائشة مع ذكر طرقه . موقع طريق الإسلام http://ar.islamway.net . بتاريخ (٢٥ أكتوبر ٢٠١٦) .

٣٤. أحمد بن عبدالعزيز الجوهري . السقيفة وفدك . تحقيق / محمد هادي الأميني . طبعة مكتبة نينوى الحديثة . طهران (بدون ذكر تاريخ النشر) ص ١٤٢ .

٣٥. المشنا" مجموعة من تفسيرات الشريعة حسب تقليد الربيين (معلمي اليهود). وهي تعتبر العقيدة غير المكتوبة، وتفسيرها. وكلمة "مشنة" مأخوذة من الفعل שנה "شنا" بمعنى يكرر أو يتعلم أو يعلم، وهي مكونة من : (أ) كل الناموس غير المكتوب الذي ظهر إلى حيِّز الوجود حتى نهاية القرن الثاني الميلادي. (ب) تعليم أحد الحاخامات الذين عاشوا خلال القرنين الأولين للميلاد. (ج) قد يطلق الاسم على إحدى العقائد أو مجموعة من العقائد. (د) يُطْلَق الاسم بشكل خاص على المجموعة التي جمعها الحاخام يهوذا الناسي Rabbi Yehudah HaNasi (יהודה הנשיא) في نهاية القرن الثاني الميلادي. (قاموس الكتاب المقدس . تعريف " المشنا " . موقع الأنبا تكلا هيمانوت القبطي الأرثوذكسي http://st-takla.org . بتاريخ (٢٥ أكتوبر ٢٠١٦) .

٣٦. محمد بن سعد بن منيع . الطبقات الكبرى . تحقيق / محمد عبدالقادر عطا . طبعة دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٩٠ . ج ٥ ص ١٤٣ .

٣٧. السيد مرتضى العسكري . معالم المدرستين . نشر المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام . الطبعة الثالثة . بيروت ١٤٣٠ هجرية قمرية . ج ٢ ص ٥٣ .

٣٨. م . س . ج ٢ ص ٥٠ .

٣٩. م . س . ص ٥٢ .

٤٠. م . س . ص ٥٢ .

٤١. شمس الدين الذهبي . سير أعلام النبلاء . تحقيق بإشراف / الشيخ شعيب الأرناؤوط . طبعة مؤسسة الرسالة . بيروت ١٩٨٥. ج ٢ ص ٦٠١ .

٤٢. م . س . ج ٢ ص ٦٠٢ ، ٦٠٣ .

٤٣. مرتضى العسكري . أحاديث أم المؤمنين عائشة . طهران ١٩٩٩ . ج ١ ص ٨٧ . أحمد بن واضح اليعقوبي . تاريخ اليعقوبي . بيروت (بدون ذكر تاريخ النشر) . ج ٢ ص ١٥٩ .

٤٤. مرتضى العسكري . معالم المدرستين . م . س . ج ٢ ص ٥٣ .

٤٥. م . س . ج ٢ ص ٥٤ .

٤٦. محمد بن النعمان (المفيد) . كتاب الجمل . تحقيق / السيد علي مير شريفي . طبعة دار المفيد . بيروت ١٩٩٣ . ص ٢٥٢ .

٤٧. جمال الدين المزي . تهذيب الكمال . تحقيق / دكتور بشار عواد معروف . طبعة مؤسسة الرسالة . بيروت ١٩٩٢ . ج ٢٤ ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

٤٨. هاجر النبي (ص) إلى المدينة بحسب ما ذكره اليعقوبي بعد ١٣ عاماً من البعثة أي أن سنه كانت ٥٤ عاماً وقت الهجرة . (اليعقوبي . م . س . ج ٢ ص ٣٩) .

٤٩. جمال الدين المزي . م . س . ج ٢٤ . ص ١٩١ .

٥٠. م . س . ج ٤ ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

٥١. مرتضى العسكري . معالم المدرستين . م . س . ج ٢ ص ٥٧ ، ٥٨ .

٥٢. البطريرك مار أغناطيوس أفرام برسوم . الألفاظ السريانية في المعاجم العربية . مجلة المجمع العلمي العربي . عدد ١ تموز ١٩٤٩ . دمشق . مجلد ٢٤ ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

٥٣. عمر بن شبة . أخبار المدينة النبوية . تحقيق / الشيخ عبدالله بن محمد بن أحمد الدويش . أشرف على تصحيحها / عبدالعزيز أحمد المشيقح . دار العليان . الرياض ١٩٩٠ . ج ٢ ص ٢٢٧ .

٥٤. م . س . ج ٢ ص ٢٢٧ .

٥٥. الطبري . م . س . ج ٣ ص ٦٠٨ .

٥٦. م . س . ج ٣ ص ٦٠٨ .

٥٧. محمد بن عبدالله الأزدي . فتوح الشام . تحقيق / عبدالمنعم عبدالله عامر . مؤسسة سجل العرب . القاهرة ١٩٧٠ . ص ٢٦٢ . هناك مرويات عن النبي (ص) تشير إلى أن لقبي الصديق والفاروق هما من ألقاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لكن علماء الحديث السنة يضعفونها مثل : " حَدَّثَنَا عباد بْن يَعْقُوب حَدَّثَنَا ابْن هَاشم حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عُبَيْد الله بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَن أَبِيهِ عَن جدِّه أبي رَافع عَنْ أبي ذَر عَن النَّبِي أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي وَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنْتَ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ وَأَنْتَ الْفَارُوقُ تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَأَنْتَ يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْكُفَّارِ، مَوْضُوع: مُحَمَّد بْن عُبَيْد الله لَيْسَ بِشَيْء وَعباد مَتْرُوك " ، وقد أضاف السيوطي تعقيباً لابن حجر على الحكم بترك عباد بقوله : " قَالَ الْحَافِظ ابْن حجر فِي زَوَائِد الْبَزَّار: هَذَا إِسْنَاد واه وَمُحَمَّد مُتَّهم وَعباد من كبار الروافض وَإِن كَانَ صَدُوقًا فِي الحَدِيث وَالله أعلم " .

جلال الدين السيوطي . اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة . تحقيق / أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة . طبعة دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٩٦ . ج ١ ص ٢٩٧ .

٥٨. كان زياد بن أبيه أحد عمال الإمام علي عليه السلام على فارس ثم على اصطخر وقد رفض الدخول في طاعة معاوية بن أبي سفيان عقب الصلح بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام ، ولم يجد معاوية وسيلة لإجباره على الدخول في طاعته سوى وعده بأن يلحقه بنسبة ، إلا أن محاولات معاوية لاستمالة زياد بن أبيه بدأت في عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والذي كتب لزياد يحذره من ألاعيب معاوية : " وقد عرفت أن معاوية كتب إليك يستزل لبك ، ويستفل غربك ، فاحذره فإنما هو الشيطان يأتي المؤمن من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ليقتحم غفلته ، ويستلب غرته . وقد كان من أبي سفيان ، في زمن عمر ، فلتة من حديث النفس ، ونزغة من نزغات الشيطان ، لا يثبت بها نسب ، ولا يستحق بها إرث ، والمتعلق بها كواغل المدفع ، والنوط المذبذب " . (الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . نهج البلاغة . شرح الشيخ محمد عبده . منشورات الفجر . لبنان ٢٠١٠ . ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ . المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهر . مراجعة / كمال حسن مرعي . طبعة المكتبة العصرية . صيدا ٢٠٠٥ . ج٣ ص ١٤ ، ١٥) .

٥٩. المسعودي . م . س . ج٣ ص ١٤ ، ١٥ .

٦٠. مرتضى العسكري . معالم المدرستين . م . س . ج ٢ ص ٥٥ .

٦١. م . س . ج ٢ ص ٥٦ .

٦٢. ابن عساكر . تاريخ دمشق . م . س . ج ٦٩ ص ٢٢٦ ، ٢٩٢ . اصطدم معاوية بن أبي سفيان بكل من سودة بنت عمارة الهمدانية وعكرشة بنت الأطرش وفوجيء بما تمتلكانه من وعي وجرأة في مواجهته واعتبر أن ما اهتمام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بنشر العلم والوعي بين الكوفيين سلبية غير محتملة وكان رده على الأولى : " " لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان فبطيئاً ما تفطمون " ، كمال قال للثانية : " هيهات هيهات يا أهل العراق ، فقهكم ابن أبي طالب ، فلن تطاقوا " . وكلا المقولتين تشيران إلى انزعاج واضح من قبل معاوية لهذا الوعي بما يقتدي ضرورة تزييفه من أجل إعادة السيطرة عليه .

٦٣. المزي . م . س . ج ١٧ ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

٦٤. نصر بن مزاحم المنقري . وقعة صفين . تحقيق / عبدالسلام محمد هارون . طبعة المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر . القاهرة ١٣٨٢ . ص ٢١٤ .

٦٥. مرتضى العسكري . م . س . ج ٢ ص ٦٢ .

٦٦. م . س . ج ٢ ص ٦٢ ، ٦٣ .

٦٧. محمود أبو رية . أضواء على السنة المحمدية . دار المعارف . القاهرة ١٩٩٤ . ص ١٨٩ .

٦٨. م . س . ص ١٨٩ .

٦٩. محمد بن إسماعيل البخاري . صحيح البخاري . م . س . ج ٧ ص ٧٣ .

٧٠. ابن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة . تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم . طبعة دار إحياء الكتب العربية . القاهرة (بدون ذكر سنة النشر) . ج ٤ ص ٧٣ .

٧١. ابن كثير الدمشقي . البداية والنهاية . تحقيق / عبدالله بن عبدالمحسن التركي . طبعة دار عالم الكتب . الرياض ٢٠٠٣ . ج ١٠ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

٧٢. معاوية بن حرمل الحنفي ، هو صهر مسيلمة الكذاب ويصنف ضمن الصحابة بالرغم من ردته بعد وفاة النبي (ص) قد جاء إلى عمر بن الخطاب تائباً فنصحه بأن يتوجه إلى تميم الداري ويبقى في بيته . وهي مروية غريبة للغاية فمن المعروف أن تمرد مسيلمة الكذاب قد إنتهى في عهد أبي بكر .

٧٣. ابن حجر العسقلاني . الإصابة في تمييز الصحابة . تحقيق / علي محمد البجاوي . طبعة دار الجيل . بيروت ١٤١٢ هجرية . ج ٦ ص ٣٠٢ .

٧٤. ابن أبي الحديد . م . س . ج ٤ ص ٦٣ ، ٦٤ .

٧٥.م . س . ج ٤ ص ٦٤ .

٧٦. المزي . م . س . ج ١٤ ص ٢٨ .

٧٧. الطبري . م . س . ج ٦ ص ١٥ .

٧٨. الذهبي . م . س . ج ٤ ص ٢٩٧ .

٧٩. م . س . ج ٦ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

٨٠. م . س . ج ٦ ص ٣٧٥ ، المسعودي . م . س . ج ٣ ص ٨١ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

٨١. المزي . م . س . ج ١٤ ص ٣٤ .

٨٢. الذهبي . م . س . ج ٤ ص ٣٠١ .

٨٣. الطبري . م . س . ج ٦ ص ١٧ ، ٩٢ .

٨٤. الذهبي . م . س . ج ٣ ص ٥٣٩ ، ٥٤١ .

٨٥. م . س . ج ٥ ص ٣٢٦ .

٨٦. المزي . م . س . ج ٢٦ ص ٤٤٠ – ٤٤٢ .

٨٧. الذهبي . م . س . ج ٥ ص ٣٣٠ .

٨٨. م . س . ج ٥ ص ٣٣١ .

٨٩. السيد علي الميلاني . رسالة خطبة علي بنت أبي جهل . موقع الإمام علي http://imamali.net بتاريخ ٢ نوفمبر ٢٠١٦ .

٩٠. المزي . م . س . ج ٢٧ ص ٥٨٢ ، ٥٨٣ .

٩١. البخاري . م . س . ج ٤ ص ٤١ ، ٤٢ .

٩٢. م . س . ج ٤ ص ٤٢ – ٤٤ .

٩٣. ابن عبدالبر . الاستيعاب في معرفة الأصحاب . تحقيق / علي محمد البجاوي . طبعة دار الجيل . بيروت ١٩٩٢ . ج ٢ ص ٥٤٦ .

٩٤. م . س . ج ٥ ص ٣٣٩ .

٩٥. ابن حجر العسقلاني . تهذيب التهذيب . طبعة دائرة المعارف النظامية . الهند ١٣٢٦ . ج ٤ ص ٢٢٥ .

٩٦. محمود إسماعيل عبدالرازق . سوسيولوجيا الفكر الإسلامي . طبعة دار مدبولي . القاهرة ١٩٨٨ . ج ١ ص ١٥٦ .

٩٧. كان آخر من توفي من الصحابة هو أبو الطفيل عامر بن واثلة سنة ١١٠ هجرية ، بينما توفي الشعبي سنة ١٠٦ وتوفي الزهري سنة ١٢٥ على الأقصى (الذهبي . م . س . ج ٣ ص ٤٧٠ ، ج ٤ ص ٣١٨ ، المزي . م . س . ج ٢٦ ص ٤٤٠ – ٤٤٢) . ابن قتيبة الدينوري . الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء) . مطبعة النيل . القاهرة ١٩٠٤ . ج ٢ ص ٢٣٢ ، ٢٨٦ . ابن عذاري . البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . تحقيق / ليفي بروفنسال ، كولان . طبعة دار الثقافة . بيروت ١٩٨٣ . ج ٢ . ص ٤٠ – ٤٧ .

٩٨. جلال الدين السيوطي . تاريخ الخلفاء . طبعة دار الفكر . بيروت ١٩٧٤ . ص ٢٤٣ .

٩٩. ابن قتيبة الدينوري . م . س . ج ٢ ص ٢٨٦ .

١٠٠.م . س . ج ٢ ص ٢٨٦ .

١٠١.محمد بن مطر الزهراني . علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى القرن التاسع . طبعة دار الهجرة . الرياض ١٩٩٦ . ص ٦٥ ، ٦٦ ١٤٥ ، ١٤٦ .

١٠٢. م . س . ص ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٦١ .

١٠٣. محمد جعفر الطبسي . رجال الشيعة في اسانيد السنة . طبعة مؤسسة المعارف الإسلامية . قم المقدسة (بدون ذكر تاريخ النشر) . ص ١٧ ، ١٨ .

١٠٤. يحيى محمد . الحديث السني والتسامح في التوثيق . موقع فهم الدين http://fahmaldin.com . بتاريخ ٤ نوفمبر ٢٠١٦ .

١٠٥.م . س . موقع فهم الدين http://fahmaldin.com . بتاريخ ٤ نوفمبر ٢٠١٦ .

١٠٦. أحمد صادق سعد . تاريخ مصر الاجتماعي – الاقتصادي في ضوء النمط الأسيوي للإنتاج . طبعة دار ابن خلدون . بيروت ١٩٧٩ . ص ١٦١ .

١٠٧. المسعودي . م . س . ج ٤ ص ٢٥ ، حسين نصار . الثورات الشعبية في مصر الإسلامية . طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة . القاهرة ٢٠٠٢ . ص ٦٤ – ٦٩ .

١٠٨.شمس الدين الذهبي . ميزان الاعتدال في نقد الرجال . تحقيق / علي محمد البجاوي . طبعة دار المعرفة . بيروت ١٩٦٣ . ج ١ ص ٥ ، ٦ .

١٠٩. محمد جعفر الطبسي . م . س . ص ١٨ – ٢٠ .

١١٠. المزي . م . س . ج ٤ ص ٤٦٧ .

١١١. م . س . ج ٤ ص ٤٦٧ .

١١٢. م . س . ج ٤ ص ٤٦٨ .

١١٣. م . س . ج ٤ ص ٤٦٩ . كان أقصى ما اتهم به جابر بن يزيد هو الإيمان بالرجعة .

١١٤. ابن قتيبة . م . س . ج ٢ ص ٢٧٨ ، ٢٨٧ . الذهبي . م . س . ج ٧ ص ١٤٠ – ١٤٢ .

١١٥. الذهبي . م . س . ج ٧ ص ١٤١ .

١١٦. م . س . ج ٧ ص ١٤٢ .

١١٧. السيوطي . م . س . ص ٢٥٣ .

١١٨. م . س . ص ٢٥٦ .

١١٩. شمس الدين بن خلكان . وفيات الأعيان . تحقيق / إحسان عباس . طبعة دار صادر . بيروت (بدون ذكر سنة الطبع) . ج ١ ص ٤٢ ، ٢٠٢ .

١٢٠. الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد . تحقيق / مصطفى عبدالقادر عطا . دار الكتب العلمية . بيروت ١٤١٧ . ج ١٢ ص ٥٥ .

١٢١؟ أحمد صبري السيد علي . أصول الكيسانية . مدونة بهزاد http://ahmadsabryali.blogspot.com/ . بتاريخ ٤ نوفمبر ٢٠١٦ .

١٢٢. الشيخ حسين الراضي . من التهم التي ألصقت بالإمام الحسن عليه السلام : كثير الزواج و الطلاق! . موقع مركز الإشعاع الإسلامي https://www.islam4u.com . بتاريخ ٤ نوفمبر ٢٠١٦ .

١٢٣. أبو الفرج بن الجوزي . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . تحقيق / محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا . طبعة دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٩٢ . ج ٨ ص ٦٣ – ٦٦ .

١٢٤. الذهبي . م . س . ج ١١ ص ١٠٤ ، ٥١٨ .

١٢٥. م . س . ج ١١ ص ١٢٥ .

١٢٦. جلال الدين السيوطي . م . س . ص ١٦ .

١٢٧. الذهبي . م . س . ج ١٢ ص ١٤٩ ، ١٥١ . ولد بعد سنة ١٧٠ هجرية وهو من أصول فارسية من طبرستان وتوفي أثناء مشاركته مع الجيش العباسي في عين زربة (العاصمة الأرمنية القديمة) ولم يحدد سنة وفاته بدقة لهذا السبب وهي ما بين ٢٤٤ إلى ٢٥٣ هجرية .

١٢٨. السيوطي . م . س . ص ١٦ .

١٢٩. م . س . ص ١٦ .

١٣٠. م . س . ص ١٨ .

١٣١. سليمان بن أحمد الطبراني . المعجم الكبير . تحقيق / حمدي بن عبدالمجيد السلفي . طبعة مكتبة ابن تيمية . القاهرة ١٩٩٤ . ج ٢٣ ص ٤٢٠ .

١٣٢. الذهبي . م . س . ج ٨ ص ٥٣٨ .

١٣٣. ابن خلكان . م . س . ج ٦ ص ٣٨٠ .

١٣٤. ابن خلكان . م . س . ج ٦ ص ٣٨١ .

١٣٥. م . س . ج ٦ ص ٣٨٤ – ٣٨٦ .

١٣٦. الذهبي . م . س . ج ٨ ص ٥٣٦ ، ٥٣٧ .

١٣٧. م . س . ج ٨ ص ٥٣٨ .

١٣٨. الخطيب البغدادي . م . س . ج ١٣ ص ١٦٢ .

١٣٩. البخاري . م . س . ج ٨ ص ١٦١ .

١٤٠. البغدادي . م . س . ج ١٣ ص ١٦٢ .

١٤١. م . س . ج ١٣ ص ١٦٨ – ١٧٠ . محمد علي رضائي مناهج التفسير واتجاهاته . تعريب / قاسم البيضائي . مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي . بيروت ٢٠١١ . ص ١٣٨ .

١٤٢. م . س . ج ١٣ ص ١٦٣ .

١٤٣. م . س . ج ١٣ ص ١٦٤ .

١٤٤. أحمد بن تيمية الحراني . منهاج السنة النبوية . تحقيق / محمد رشاد سالم . طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض ١٩٨٦ . ج ٢ ص ٦١٨ – ٦٢٠ .

١٤٥. م . س . ج ١٣ ص ١٦٢ . لم تذكر المروية الأسباب التي دفعت مقاتل بن سليمان لزيارة الخليفة العباسي .

١٤٦. محمد بن سعد . الطبقات الكبرى . تحقيق / محمد عبدالقادر عطا . طبعة دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٩٠ . ج ٤ ص ٧ .

١٤٧. م . س . ج ٤ ص ٧ .

١٤٨. م . س . ج ٤ ص ١١ .

١٤٩. م . س . ج ٤ ص ١٢ .

١٥٠. الطبري . م . س . ج ٣ ص ٥٢ ، ٥٣ . لابد من الإشارة إلى أن هذه المروية نقلها الطبري عن ابن اسحاق والذي نقلها بدوره عن الحسين بن عبدالله بن عبيدالله بن العباس عم عكرمة عن عبدالله بن عباس .

١٥١. ابن سعد . م . س . ج ٤ ص ١٩ .

١٥٢. محمد بن إسماعيل البخاري . صحيح البخاري . طبعة مركز الدراسات والإعلام (دار إشبيليا) . الرياض ١٩٧٩ . ج ٤ ص ٢١٠ .

١٥٣. ابن عساكر . تاريخ دمشق . تحقيق / عمرو بن غرامة العمروي . طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ١٩٩٥ . ج ٤٢ ص ٢٠٢ .

١٥٤. ابن سعد . م . س . ج ٤ ص ٢١ .

١٥٥. محمود أبو رية . أضواء على السنة المحمدية . طبعة دار المعارف . القاهرة ١٩٩٤ . ص ١٢٨ ، ١٢٩ . طعن الشيخ محمود أبو رية في هذه المروية واعتبرها من المدخلات اليهودية لكعب الأحبار على الإسلام ، كما روى عدد من الأخبار التي تكذب استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس ، مما يدل على أنها ليست من مدخلات كعب وأنما من مدخلات العباسيين التي استخدموها بشكل سياسي .

١٥٦. الطبري . م . س . ج ٧ ص ٥٧١ .

١٥٧. ابن سعد . م . س . ج ٢ ص ١٨٩ .

١٥٨. جلال الدين السيوطي . م . س . ص ١٩ .

١٥٩. ابن سعد . م . س . ج ٤ ص ١٩ .

١٦٠. سبقت الإشارة في الفصل السابق إلى ثورتي الخرميين والبشموريين .

١٦١.محمود إسماعيل . م . س . ج ٢ ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

١٦٢.محمود إسماعيل عبد الرازق . الحركات السرية في الإسلام . مؤسسة الانتشار العربي . بيروت ١٩٩٧ . ص ١٢٥ .

١٦٣. ابن واضح اليعقوبي . م . س . ج ٢ ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، المسعودي . م . س . ج ٤ ص ٤٤ – ٤٦ . بالرغم من أن المعتصم لم يسقط الفرس من ديوان الجند إلا أن بناؤه لمدينة سامراء واتخاذه لها كعاصمة جديدة جُهزت بالأساس لرجاله من الأتراك يشير إلى ضعف ثقته في القيادات الفارسية كذلك .

١٦٤.المسعودي . م . س . ج ٤ ص ٤٦ – ٥١ .

١٦٥.ابن واضح اليعقوبي . م . س . ج ٢ ص ٤٦٦ ، ٤٩٢ .

١٦٦.المسعودي . م . س . ج ٢ ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٤٦٦ .

١٦٧. أبو الفتح الشهرستاني . الملل والنحل . تصحيح وتعليق / أحمد فهمي محمد . دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٩٢ . ج ١ ص ٢٠٢ ، علي محمد الصلابي . دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي . مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة . القاهرة ٢٠٠٦. بتاريخ ٥ نوفمبر ٢٠١٦ . ص ٢٧٩ .

١٦٨. عارف تامر . م . س . ج ١ ص ١٣٨ – ١٤١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

١٦٩. عبدالهادي الفضلي . تدوين الحديث عند الشيعة . موقع حوزه دوت نت http://www.hawzah.net . بتاريخ ٥ نوفمبر ٢٠١٦ .

١٧٠. م . س . موقع حوزه دوت نت http://www.hawzah.net . بتاريخ ٥ نوفمبر ٢٠١٦ .

١٧١.علي محمد الصلابي . م . س . ص ٢٧٩ .

١٧٢. م . س . ص ٢٧٩ .

١٧٣. م . س . ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

١٧٤.م . س . ص ٢٨٢ .

١٧٥. م . س . ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

١٧٦.م . س . ص ٢٨٥ .

١٧٧. م . س . ص ٢٨٥ .

١٧٨.م . س . ص ٢٨٧ .

١٧٩. محمد رحيل غرايبة . جهود صلاح الدين الأيوبي في إحياء المذهب السنّي في مصر والشام . موقع التنوير http://www.altanweer.net . بتاريخ ٥ نوفمبر ٢٠١٦ .

١٨٠.م . س . موقع التنوير http://www.altanweer.net . بتاريخ ٥ نوفمبر ٢٠١٦ .

١٨١. م . س . موقع التنوير http://www.altanweer.net . بتاريخ ٥ نوفمبر ٢٠١٦ .

١٨٢. م . س . موقع التنوير http://www.altanweer.net . بتاريخ ٥ نوفمبر ٢٠١٦ .

١٨٣.م . س . موقع التنوير http://www.altanweer.net . بتاريخ ٥ نوفمبر ٢٠١٦ .

١٨٤. إدريس الحسيني المغربي . الخلافة المغتصبة . نسخة كومبيوترية . موقع المكتبة الحيدرية http://www.haydarya.com . بتاريخ ٥ نوفمبر ٢٠١٦ . ص ١٨٧ . نقلاً عن تاريخ ابن خلدون .

١٨٥. المزي . م . س . ج ١٢ ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ . الذهبي . م . س . ج ٢ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

١٨٦. الذهبي . م . س . ج ٣ ص ٤١٩ .

١٨٧. م . س . ج ٣ ص ٤٢٠ .

١٨٨.عبد الله بن مسلم بن قتيبة . تأويل مختلف الحديث . تحقيق محمد محي الدين الأصفر . طبعة مؤسسة الإشراق . الدوحة ١٩٩٩ . ص ٢٨٢ .

١٨٩. م . س . ص ٢٩٩ . وقد تناسى ابن قتيبة حقيقة أن المرويات المتداولة كتبت بعد وفاة النبي (ص) بأكثر من قرن وبالتالي لا يمكن لها أن تقارن بالقرآن الكريم .

١٩٠ مرتضى العسكري . معالم المدرستين . ج ٣ ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

المصادر والمراجع

١ – ابن أبي الحديد (عبدالحميد بن هبة الله) (ت٦٥٦هـ)

شرح نهج البلاغة . تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم . طبعة دار إحياء الكتب العربية . القاهرة (بدون ذكر سنة النشر)

٢- ابن تيمية (أحمد بن عبدالحليم) (ت٨٥٢هـ)
منهاج السنة النبوية. تحقيق/ محمد رشاد سالم . طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض ١٩٨٦
٣ - ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي)
الإصابة في تمييز الصحابة . تحقيق / علي محمد البجاوي . طبعة دار الجيل . بيروت ١٤١٢
تهذيب التهذيب . طبعة دائرة المعارف النظامية . الهند ١٣٢٦
٤ - ابن عبدالبر (يوسف بن عبدالله النمري) (ت ٤٦٣هـ)
الاستيعاب في اسماء الأصحاب. تحقيق/ علي محمد البجاوي. طبعة دار الجيل. بيروت ١٩٩٢
٥ - ابن عذاري (أحمد بن محمد) (ت ٧١٢هـ)
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . تحقيق / ليفي بروفنسال ، كولان . طبعة دار الثقافة . بيروت ١٩٨٣
٦- ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله) (ت ٥٧١هـ)
تاريخ دمشق . تحقيق / عمرو بن غرامة العمروي . طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ١٩٩٥
٧ - ابن قتيبة الدينوري (عبدالله بن عبدالمجيد بن مسلم)(ت ٢٧٦هـ)
الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء) . مطبعة النيل . القاهرة ١٩٠٤
تأويل مختلف الحديث. تحقيق محمد محي الدين الأصفر. طبعة مؤسسة الإشراق. الدوحة ١٩٩٩
٨ - ابن كثير الدمشقي (إسماعيل بن عمر) (ت٧٧٤هـ)
البداية والنهاية. تحقيق/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي. طبعة دار عالم الكتب. الرياض ٢٠٠٣
٩ - أبو الفتح الشهرستاني (محمد بن عبدالكريم) (ت٥٤٨هـ)
الملل والنحل . تصحيح وتعليق / أحمد فهمي محمد . دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٩٢
١٠ - أبو الفرج بن الجوزي (عبدالرحمن بن علي التيمي القرشي)(ت٥٩٧هـ)
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . تحقيق / محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا . طبعة دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٩٢
١١ - السيد علي أحمد صبري
الجذور الطبقية لثورة الإمام الحسين . طبعة دار الحمراء . بيروت ٢٠٠٨
١٢ - أحمد صادق سعد

تاريخ مصر الاجتماعي – الاقتصادي في ضوء النمط الأسيوي للإنتاج . طبعة دار ابن خلدون . بيروت ١٩٧٩

١٣ – أحمد بن عبدالعزيز الجوهري (ت ٣٢٣هـ)

السقيفة وفدك . تحقيق / محمد هادي الأميني . طبعة مكتبة نينوى الحديثة . طهران (بدون ذكر تاريخ النشر)

١٤ – أحمد بن واضح اليعقوبي (ت٢٩٢هـ)

تاريخ اليعقوبي . دار صادر . بيروت (بدون ذكر تاريخ النشر) .

١٥ – بندلي جوزي

من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام . مطبعة الهناء . بيروت ١٩٧٨

١٦ – جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)

تاريخ الخلفاء . طبعة دار الفكر . بيروت ١٩٧٤

اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة . تحقيق / أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة . طبعة دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٩٦

١٧ – جمال الدين المزي (ت ٧٤٢هـ)

تهذيب الكمال . تحقيق / دكتور بشار عواد معروف . طبعة مؤسسة الرسالة . بيروت ١٩٩٢

١٨ – حسين نصار

الثورات الشعبية في مصر الإسلامية . طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة . القاهرة ٢٠٠٢

١٩ – الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)

تاريخ بغداد . تحقيق / مصطفى عبدالقادر عطا . دار الكتب العلمية . بيروت ١٤١٧

٢٠ – سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)

المعجم الكبير . تحقيق / حمدي بن عبدالمجيد السلفي . طبعة مكتبة ابن تيمية . القاهرة ١٩٩٤

٢١ – شمس الدين بن خلكان (ت٦٨١هـ)

وفيات الأعيان . تحقيق / إحسان عباس . طبعة دار صادر . بيروت (بدون ذكر سنة الطبع)

٢٢ – شمس الدين الذهبي(ت٧٤٨هـ)

سير أعلام النبلاء . تحقيق بإشراف/ الشيخ شعيب الأرناؤوط. طبعة مؤسسة الرسالة. بيروت ١٩٨٥

ميزان الاعتدال في نقد الرجال. تحقيق/ علي محمد البجاوي. طبعة دار المعرفة. بيروت ١٩٦٣

٢٣ – عبدالستار حامد

مباحث في علوم القرآن . بغداد ١٩٨٠

٢٤ – الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

نهج البلاغة . شرح الشيخ محمد عبده . منشورات الفجر . بيروت ٢٠١٠

٢٥ – علي محمد الصلابي

دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي . مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة . القاهرة ٢٠٠٦

٢٦ – عمر بن شبة (ت٢٦٢هـ)

أخبار المدينة النبوية . تحقيق / الشيخ عبدالله بن محمد بن أحمد الدويش . أشرف على تصحيحها / عبدالعزيز أحمد المشيقح . دار العليان . الرياض ١٩٩٠

٢٧ – الماوردي (علي بن محمد بن حبيب البصري) (ت٤٥٠هـ)

الأحكام السلطانية . طبعة دار الحديث . القاهرة (بدون ذكر سنة النشر)

٢٨ – محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)

صحيح البخاري . طبعة مركز الدراسات والإعلام (دار إشبيليا) . الرياض ١٩٧٩

٢٩ – محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)

تاريخ الرسل والملوك . تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف . القاهرة ١٩٧٩

٣٠ – محمد جعفر الطبسي

رجال الشيعة في اسانيد السنة . طبعة مؤسسة المعارف الإسلامية . قم المقدسة (بدون ذكر تاريخ النشر)

٣١ – محمد بن سعد بن منيع

الطبقات الكبرى . تحقيق / محمد عبدالقادر عطا . طبعة دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٩٠

٣٢ – محمد بن عبدالله الأزدي

فتوح الشام . تحقيق / عبدالمنعم عبدالله عامر . مؤسسة سجل العرب . القاهرة ١٩٧٠

٣٣ – محمد علي رضائي

مناهج التفسير واتجاهاته . تعريب / قاسم البيضائي . مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي . بيروت ٢٠١١

٣٤ – محمد بن مطر الزهراني

علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى القرن التاسع . طبعة دار الهجرة . الرياض ١٩٩٦

٣٥ – محمد بن النعمان (المفيد)
كتاب الجمل . تحقيق / السيد علي مير شريفي . طبعة دار المفيد . بيروت ١٩٩٣
٣٦ – محمود أبو رية
أضواء على السنة المحمدية . طبعة دار المعارف . القاهرة ١٩٩٤
٣٧ – محمود إسماعيل عبدالرازق
الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري . دار الثقافة . الدار البيضاء ١٩٨٥
الحركات السرية في الإسلام . دار سينا للنشر – دار الانتشار العربي . بيروت ١٩٩٧
سوسيولوجيا الفكر الإسلامي . طبعة دار مدبولي . القاهرة ١٩٨٨
٣٨ – السيد مرتضى العسكري
معالم المدرستين . نشر المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام . الطبعة الثالثة . بيروت ١٤٣٠
أحاديث أم المؤمنين عائشة . المجمع العلمي الإسلامي . طهران ١٩٩٩
٣٩ – المسعودي (علي بن الحسين)
مروج الذهب ومعادن الجوهر. مراجعة/ كمال حسن مرعي. طبعة المكتبة العصرية . صيدا ٢٠٠٥
٤٠ – نصر بن مزاحم المنقري
وقعة صفين . تحقيق / عبدالسلام محمد هارون . طبعة المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر . القاهرة ١٣٨٢
٤١ – يوليوس فلهاوزن
الخوارج والشيعة . ترجمة / عبدالرحمن بدوي . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٨
مصادر ومراجع ألكترونية
١ – أحمد صبري السيد علي
أصول الكيسانية . مدونة بهزاد http://ahmadsabryali.blogspot.com/
٢ – إدريس الحسيني المغربي
الخلافة المغتصبة . موقع المكتبة الحيدرية http://www.haydarya.com
٣ – حسين الراضي
من التهم التي ألصقت بالإمام الحسن عليه السلام : كثير الزواج و الطلاق! . موقع مركز الإشعاع الإسلامي https://www.islam4u.com

٤ – قاموس الكتاب المقدس . موقع الأنبا تكلا هيمانوت القبطي الأرثوذكسي http://st-takla.org

٥ – عبدالهادي الفضلي

تدوين الحديث عند الشيعة . موقع حوزه دوت نت http://www.hawzah.net

٦ – علي الميلاني

رسالة خطبة علي بنت أبي جهل . موقع الإمام علي http://imamali.net

٧ – لينين (فلاديمير إليانوف إيليتش)

تطور الراسمالية في روسيا . ترجمة فواز طرابلسي . دار الطليعة . بيروت ١٩٧٩ . مدونة اكتب لكي لا تكون وحيداً https://ayman1970.wordpress.com

٨ – محمد بيومي مهران

الإمامة وأهل البيت . موقع شبكة الشيعة العالمية http://www.shiaweb.org

٩ – محمد رحيل غرايبة

جهود صلاح الدين الأيوبي في إحياء المذهب السنّي في مصر والشام . موقع التنوير http://www.altanweer.net

١٠ – معجم المعاني . موقع http://www.almaany.com

١١ – يحيى محمد

الحديث السني والتسامح في التوثيق . موقع فهم الدين http://fahmaldin.com